

طَلَايحُ الْمُسْتَنَدِ

لِلإمام أحمد بن حنبل

- خَصَائِصُ الْمُسْتَدِّ - لأبي موسى المديني ٥٥٨١ هـ
- الْمَصْعَدُ الْأَحْمَدُ - للإمام الجزيري ٥٨٣٣ هـ
- نَرْصُدُ الْإِمَامَ أَحْمَدَ مِنْ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ لِلذَّهَبِيِّ ٥٧٤٨ هـ

تحقيق
أحمد محمد شاكر

مَكْتَبَةُ الْإِسْلَامِ

٨ شارع الجمهورية، القاهرة ٢٩١١٢٩٧



مكتبة العراق الإسلامية

٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة

فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

ت : ٣٩١١٣٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

خصائص المسند

للمحافظ أبي موسى المديني المتوفى سنة ٥٨١ (١)

قال الشيخ عبد المنعم بن علي بن مفلح الحنبلي (٢) : أخبرني الشيخة الجليلة الأصلية المسندة المعروفة ، أم عبد الله عائشة ابنة محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الصالح (٣) ، إجازةً منها ، قالت : أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن تمام بن حسان الصالح وغيره ، عن أبي العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي ، قال : أخبرنا المحافظ أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي سمعاً (ح) قالت عائشة : وأنبأنا به عالياً بدرجة أم عبد الله زينب ابنة عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الرحمن البجلي ، عن المحافظ ضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي ، قال : أنبأنا المحافظ أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد بن عمر الأصهباني المديني ، رحمه الله تعالى . قال :

(١) ولد بأصهان سنة ٥٠١ وحصل بها من المسموعات ما لم يحصله أحد في زمانه ، مع الحفظ والإتقان ، وله مؤلفات كثيرة نافعة . ومن تلاميذه المحافظ أبو سعد السمعاني والمحافظ عبد الغني المقدسي ، وغيرهما . ومات ليلة الأربعاء ٩ جمادى الأولى سنة ٥٨١ .

(٢) هو صدر الدين عبد المتعم بن القاضي علاء الدين علي بن أبي بكر بن مفلح . أخذ العلم عن والده وغيره ، وكان من أهل العلم والدين . مات بحلب في ربيع الآخر سنة ٨٩٧ . وله ترجمة في شذرات الذهب ٧ : ٣٥٩ - ٣٩٦ .

(٣) كانت محدثة دمشق ، ولدت سنة ٧٢٣ وماتت في أحد الربيعين سنة ٨١٦ .

عن الشذرات ٧ : ١٢٠ - ١٢١ .

الحمد لله الواسع للنعم ، المفضل المكرم ، العالم العلم ، الذي أحسن بدءاً وغفر
آخرأ . وصلواته على محمد المختار من خلقه وعلى آله .

أما بعد : فإن مما أنعم الله علينا ، أن رزقنا سماع كتاب السند للإمام الكبير ،
إمام الدين أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رحمه الله تعالى . فحصل لي
والدي ، رحمه الله وجزاه غني خيراً ، إحضاري قراءته سنة خمس وخمسة ، على الشيخ
القرئ بقية المشايخ أبي علي الحسن بن الحداد .

وكان سماعه لأكثره عن أبي نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ — وما فاته منه
قرئ عليه بإجازته له — وأبو نعيم كان يروي عن شيخه أبي علي محمد بن أحمد بن
الحسن الصواف ، وأبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي ، على ما تنطق
فهرست مسموعاتي بخط والدي رحمه الله .

ثم قرأناه أجمع ببغداد على الشيخ الرئيس الثقة أبي القاسم هبة الله بن محمد بن
عبد الواحد بن الحصين الشيباني ، من أصل سماعه إلا ما لم يكن عند شيخه ، عن
أبي علي الحسن بن علي بن المذهب التيمي الواعظ ، عن أبي بكر أحمد بن جعفر
بن حمدان القطيعي ، عن عبد الله بن أحمد ، عن أبيه ، رحمه الله تعالى .

ولعمري إن من كان من قبلنا من الحفاظ يتبيحون بجزء واحد يقع لهم من
حديث هذا الإمام الكبير ، على ما أخبرني الإمام الحافظ أستاذي أبو القاسم إسماعيل
بن محمد رحمه الله في إجازته لي ، قال : أخبرنا أبو بكر بن مردويه ، قال :

كتب إلي أبو حازم الصبدي ، يذكر أنه سمع الحاكم أبا عبد الله عند
منصرفه من بخارى يقول : كنت [عند] أبي محمد المزني ، فقدم عليه إنسان علوي
من بغداد ، وكان أقام ببغداد على كتابة الحديث ، فسأله أبو محمد المزني ، وذلك
في سنة ست وخمسين وثلثمائة ، عن فائده ببغداد ، وعن باقي إسناد المراق ،
فذكر في جملة ما ذكر : سمعت مسند أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى من أبي بكر
بن مالك في مائة جزء وخمسين جزءاً ، فوجب أبو محمد المزني من ذلك ، وقال : مائة

وخمسون جزءاً من حديث أحمد بن حنبل ؟! كنا ونحن باليراق إذا رأينا عند شيخ من شيوخنا جزءاً من حديث أحمد بن حنبل قمنا العجب من ذلك ، فكيف في هذا الوقت هذا المسند الجليل ! فعزم الحاكم على إخراج الصحيحين ، ولم يكن عنده مسند إسحق الحنظلي ، ولا مسند عبد الله بن شيرويه ، ولا مسند أبي العباس السراج ، وكان في قلبه ما سمعه من أبي محمد الزني ، فعزم على أن يخرج إلى الحج في موسم سنة سبع وستين ، فلما ورد في سنة ثمان وستين ، أقام بعد الحج ببغداد أشهراً ، وسمع جملة المسند من أبي بكر بن مالك ، وعاد إلى وطنه ، ومد يده إلى إخراج الصحيحين على تراجم المسند^(١) .

قال شيخنا الحافظ رحمه الله تعالى : وفي هذه السنة مات ابن مالك في آخر السنة سنة ثمان وستين ، وأبو محمد الزني هذا من الحفاظ الكبار الكثيرين .

وهذا الكتاب أصل كبير ، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث ، انتقى من حديث كثير ومسموعات وافرة ، فجعله إماماً ومعتزلاً ، وعند التنازع ملجأً ومستنداً . على ما أخبرنا والدي وغيره ، رحمهما الله تعالى : أن المبارك بن عبد الجبار أبا الحسين كتب إليهما من بغداد : أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن عمر بن أحمد بن إبراهيم البرمكي قراءة عليه ، حدثنا أبو حفص عمر بن محمد بن رجاء ، حدثنا موسى بن حمدون البزار ، قال : قال لنا حنبل بن إسحق : جمعنا عمي ، لي ولصالح ولعبد الله ، وقرأ علينا المسند ، وما سمعنا منه — يعني تماماً — غيرنا ، وقال لنا : إن هذا الكتاب قد جمعته وأتقنته من أكثر من سبعائة وخمسين ألفاً ، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعوا إليه ، فإن كان فيه وإلا فليس بحجة^(٢) .

(١) أظنه يريد : إخراج الاستدراك على الصحيحين ، وهو مستدرك الحاكم ، المعروف المطبوع في حيدرآباد ، في أربعة مجلدات كبار .

(٢) هذه الألوف الكثيرة لا يراد بها أنها كلها أحاديث متباينة ، كما يبدو من ظاهر

بخط أبي بكر بن أبي نصر ، قال أبو الحسن اللبباني : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول : كتب أبي عشرة آلاف ألف حديث ، ولم يكتب سواداً في بياض إلا قد حفظه .

وبه قال : أخبرنا البرمكي قراءة عليه فأقر به : حدثني أبي ، حدثني أبو محمد القاسم بن الحسن الباقلاني بسر من رأى ، قال سمعت أبا بكر بن أبي حامد الفقيه صاحب بيت المال ، سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : قلت لأبي رحمه الله تعالى : لم كرهت وضع الكتب وقد عملت المسند ؟ فقال : عملت هذا الكتاب إماماً ، إذا اختلف الناس في سنة رسول صلى الله عليه وسلم رُجع إليه .
قال : وحدثني أيضاً القاسم ، قال : سمعت أبا الحسن بن عبيد الحافظ ، سمعت أبا عبد الرحمن عبد الله بن أحمد يقول : خرّج أبي المسند من سبعة آلاف حديث .

قال الشيخ الحافظ أبو موسى رحمه الله : ولم يخرج إلا عن ثبت عنده صدقه وديانته ، دون من طعن في أمانته . كما قرأته ببغداد على أبي منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ ، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد العتيقي ، أخبرنا يوسف بن أحمد الصيدلاني بمكة ، حدثنا محمد بن عمرو العقيلي ، حدثنا عبد الله بن أحمد : سألت أبي عن عبد العزيز بن أبيان ؟ فقال : لم أخرّج عنه في السند شيئاً ، قد أخرجت عنه على غير وجه الحديث ، لما حدّث بحديث الواقيت تركته .

اللفظ ، وكما يظن كثير ممن لا يعرف ، ويجمله أعداء السنة مطعناً في السنة كلها ، يزعمون أن أكثرها غير صحيح ؛ كلا ، إنما هي طرق متعددة للأحاديث ، فقد يروى الحديث الواحد بمشركات الأسانيد ، فيختار المؤلف ، كالإمام أحمد ، أو البخاري ، أحدها وأوثقها ، ويدع المرسل والمنقطع وما في إسناده ضعف كثير . ورب حديث جاء بإسناد ضعيف وبأسانيد صحيحة . وفي هذه الألف أيضاً آثار الصحابة والتابعين وغيرهم ، يرونها المحدثون عنهم بالأسانيد ، ويعدونها في عدد الحديث .

فأما عدد أحاديث المسند ، فلم أزل أسمع من أفواه الناس أنها أربعون ألفاً ، إلى أن قرأتُ على أبي منصور بن زُرَيْق ببغداد ، أخبرنا أبو بكر الخطيب^(١) ، قال : وقال ابن المنادي : لم يكن في الدنيا أحد أروى عن أبيه منه ، يعني عبد الله بن أحمد بن حنبل ، لأنه سمع المسند ، وهو ثلاثون ألفاً ، والتفسير ، وهو مائة ألف وعشرون ألفاً ، سمع منه ثمانين ألفاً والباقي وجادة^(٢) . فلا أدري هل الذي ذكره ابن المنادي أراد به مالا مكرر فيه ، أو أراد غيره مع المكرر ؟ فيصح القولان جميعاً ، أو الاعتماد على قول ابن المنادي دون غيره . ولو وجدنا فراغاً لعددناه إن شاء الله تعالى^(٣) .

فأما عدد الصحابة فنحو من سبعةائة رجل .

وجدت بخط الشيخ حامد بن أبي الفتح ، ذكره أبو عبد الله الحسين بن أحمد الأسدي في كتابه المسمى (مناقب أحمد بن حنبل) أنه سمع أبا بكر بن مالك ، يذكر أن جملة ما وعاه المسند أربعون ألف حديث غير ثلاثين أو أربعين ، قال : وسمعت — يعني أبا بكر بن مالك — سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : أخرج أبي هذا المسند من جملة سبعةائة ألف حديث . وقال أبو عبد الله الأسدي : وقد أفردتُ لذلك كتاباً في جزء واحد ، وسميته (كتاب المدخل إلى المسند) أثبت فيه ذلك أجمع .

وذكر الأسدي : سمعت أبا بكر بن مالك يقول : رأيت أبا بكر أحمد بن سلمان النجاد في النوم ، وهو على حالة جميلة ، فقلت : أي شيء كان خبرك ؟ قال : كل

(١) تاريخ بغداد ٩ : ٣٧٥ .

(٢) هنا في الأصل زيادة كلمة « وذكره » ولا معنى لها في هذا الموضع . ولا هي في

تاريخ بغداد .

(٣) هو على اليقين أكثر من ثلاثين ألفاً ، وقد لا يبلغ الأربعين ألفاً . وسيبين عدده الصحيح عند إتمامه إن شاء الله .

ما تحب، الزم ما أنت عليه وما نحن عليه ، فإن الأمر هو ما نحن عليه وما أنتم عليه .
ثم قال : بالله إلا حفظت هذا المسند ، فهو إمام المسلمين وإليه يرجعون ، وقد كنت
قديماً أسألك بالله إن أعزت منه أكثر من جزء لمن تعرفه ، لينبئ .

قال : وسمعت أبا بكر بن مالك يقول : حضرت مجلس يوسف القاضي
سنة خمس وثمانين ومائتين ، أسمع منه كتاب الوقوف ، فقال لي : من عنده مسند
أحمد بن حنبل والفضائل أيش يعمل ههنا ؟ أو كلاماً نحو هذا .

ومن الدليل على أن ما أودعه الإمام أحمد رحمه الله تعالى مسنده قد احتاط فيه إسناداً
ومتناً ، ولم يورد فيه إلا ما صح عنده ، على ما أخبرنا أبو علي سنة خمس ، قال : حدثنا
أبو نعيم ، (ح) وأخبرنا ابن الخصين قال : أخبرنا ابن المذهب قال : أخبرنا القطيعي
قال : حدثنا عبد الله قال : حدثني أبي : قال : حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا شعبة
عن أبي التَّيَّاح ، قال : سمعتُ أبا زُرْعَةَ يحدث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال : **يُهْلِكُ أُمَّتِي هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ** ، قالوا : فما تأمرنا يا رسول
الله . قال : لو أن الناس اعتزلوهم ؟ قال عبد الله : قال لي أبي في مرضه الذي مات فيه :
اضرب على هذا الحديث ، فإنه خلافُ الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ،
يعني قوله : **اسمعوا واطيعوا [واصبروا]** .

وهذا مع ثقة رجال إسناده حين شد لفظه عن الأحاديث المشاهير أمر بالضرب
عليه ، فقال عليه ما قلناه . وفيه نظائر له ^(١) .

(١) هذا الحديث في المستد برقم ٧٩٩٢ . وكلمة أحمد في الأمر بالضرب عليه ثابتة
عقبه . وقد زدنا منه كلمة « واصبروا » . وهو من أمانة عبد الله وشدة تحريه ، فإن
الإسناد صحيح لا مطعن عليه ، وكونه في ظاهره مخالفاً للأمر بالسمع والطاعة ليس علة
له ، وما هو بالأمر بمخالفتهم والخروج عليهم ، فلا ينافي السمع والطاعة . والحديث رواه
الإمام بأسانيد أخرأكثرها صحيح . ولكن ليس فيها « لو أن الناس اعتزلوهم » . وهي
بالأرقام ٧٨٥٨ ، ٧٩٦١ ، ٨٠٢٠ ، ٨٢٨٣ ، ٨٣٣٩ ، ٨٨٨٨ ، ١٠٢٩٧ ، ١٠٧٤٨ ، ١٠٩٤٠ .
وأبو زُرْعَةَ : هو ابن عمرو بن جرير . وأبو التَّيَّاح : هو يزيد بن حميد الضبي .

بخط أحمد بن محمد بن البرداني، عن أبي علي بن الصواف قال : سمعت عبد الله بن أحمد يقول : صنف أبي المسند بعد ما جاء من عند عبد الرزاق .
 ذكر علي بن الحسين بن جدي ، قال : قرأت بخط أبي حفص عمر بن عبد الله العكبري ، قال : سمعت أبا عبد الله عبيد الله بن محمد ، قال سمعت أبا بكر أحمد بن سلمان يقول : سمعت أبا بكر يعقوب بن يوسف المطوعي يقول : جلست إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل ثلاث عشرة سنة ، وهو يقرأ المسند على أولاده ، ما كتبت منه حرفاً واحداً ، وإنما كنت أكتب آدابه وأخلاقه وأتخفظها . وقال عبيد الله : قال لي أبو بكر بن أيوب : سمعت يعقوب يقول : كنت أختلف إلى أحمد ثلاث عشرة سنة ، لا أكتب عنه ، وهو يقرأ المسند ، إنما كنت أنظر إلى هديه أتأدب به .

أخبرنا ابن الجُصين بإسناده : حدثنا عبد الله حدثني عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن محمد بن سالم عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيما سقت السماء العشر ، وما يسقى بالغرب والدالية ففيه نصف العشر . قال أبو عبد الرحمن فحدثت أبي بحديث عثمان عن جرير فأنكره جداً ، وكان أبي لا يحدثنا عن محمد بن سالم لضعفه عنده وإنكاره لحديثه .

وقال عبد الله : حدثنا شيبان أبو محمد حدثنا عبد الوارث بن سعيد حدثنا الحسن بن ذكوان عن عمرو بن خالد عن حبيب بن أبي ثابت عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أتاني جبريل عليه السلام فلم يدخل عليه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما منعك أن تدخل ؟ قال : إنا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا بول . قال : وحدثناه شيبان مرة أخرى : حدثنا عبد الوارث عن حسن بن ذكوان عن عمرو بن خالد عن حبة بن أبي حبة عن عاصم نحوه . قال : وكان أبي لا يحدث عن عمرو بن خالد ، يعني كان حديثه لا يسوي عنده شيئاً . قال : وكان في كتاب أبي عن عبد الصمد عن أبيه عن الحسن ، يعني ابن ذكوان ، عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم

نهى أن يعيش في خوف واحد أو نعل واحد . وفي الحديث كلام كثير غير هذا ، فلم يحدثنا به ، ضرب عليه في كتابه ، فظننت أنه ترك حديثه من أجل أنه روى عن عمرو بن خالد الذي يحدث عن زيد بن علي ، وعمرو بن خالد لا يسوى شيئاً ، وهذا أقوى ، لأنه لم يرو عن روى عن ضعيف وإن كان حاله خالصاً .

وبه : حدثنا أبو عامر حدثنا خارجة بن عبد الله عن أبي الرجال عن أمه عمرة ، وبه : حدثنا عصام بن خالد حدثني صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر الطباطرقي وأبو اليمان الهوزني عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تعالى وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفاً بغير حساب ، فقال يزيد بن الأحنس السلمي : والله ما أولئك في أمتك إلا كالذباب الأصب في الذباب ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإن ربي عز وجل قد وعدني سبعين ألفاً مع كل ألف سبعين ألفاً ، وزادني ثلاث حشبات ، قال : فما سعة حوضك يا نبي الله ؟ قال : كما بين عدن إلى عمان وأوسع وأوسع ، يشير بيده ، قال : فيه متعبان من ذهب وفضة^(١) ، قال : فماء حوضك ؟ قال : ماء أشدّ بياضاً من اللبن ، وأحلى مذاقة من العسل ، وأطيب رائحة من المسك ، من شرب منه لم يظمأ بعدها .

وبهذا الإسناد ، قال عبد الله : وجدت هذا الحديث في كتاب أبي بخطه وقد ضرب عليه ، فظننت أنه قد ضرب عليه لأنه خطأ ، إنما هو عن زيد عن أبي سلام عن أبي أمامة .

قال : حدثنا يزيد قال : أخبرنا رجل ، والرجل كان يسعى في كتاب أبي عبد الرحمن عمرو بن عُميد ، حدثنا أبو رجاء العطاردي عن عمران بن حصين قال : ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز مادوم حتى مضى لوجهه . قال عبد الله : وكان أبي قد ضرب على هذا الحديث في كتابه ، فسألته ،

(١) المتعب ، بفتح الميم : مكان اشعاب الماء ، أي سيلانه وجريانه ، جمعه «مناعب» .

وحدثني به ، وكتب عليه صح صح . قال : إنما ضرب أبي علي هذا الحديث لأنه لم يرض الرجل الذي حدث عنه يزيد .

قال الشيخ الإمام الحافظ أبو موسى : قد روى لابنه الحديث ، لكنه ضرب عليه في المسند ، لأنه أراد أن لا يكون في المسند إلا الثقات ، ويروي في غير المسند عن ليس بذلك .

ذكر أبو العز بن كادس أن عبد الله بن أحمد ، قال لأبيه : ما تقول في حديث ربي عن حذيفة ؟ قال : الذي يرويه عبد العزيز بن أبي رواد ؟ قلت : يصح ؟ قال : لا ، الأحاديث بخلافه ، وقد رواه الخياط عن ربي عن رجل لم يسموه ، قال : قلت له : فقد ذكرته في المسند ؟ فقال : قصدت في المسند الحديث المشهور وتركت الناس تحت ستر الله تعالى ، ولو أردت أن أقصد ما صح عندي ، لم أرؤ من هذا المسند إلا الشيء بعد الشيء ، ولكنك يا بني تعرف طريقي في الحديث ، لست أخالف ما ضعف إذا لم يكن في الباب ما يدفعه .

قال الشيخ الحافظ : وهذا ما أظنه يصح ، لأنه كلام متناقض ، لأنه يقول : لست أخالف ما فيه ضعف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه ، وهو يقول في هذا الحديث بخلافه وإن صح ، فلمله كان أولاً ثم أخرج منه ما ضعف ، لأنني طلبته في المسند فلم أجده .

آخر خصائص المسند إملأ الحافظ أبي موسى المديني رحمه الله تعالى

علقه لنفسه قدير عفو ربه تعالى عبد المنعم بن علي بن مفلح

الحنبلي ، عفا الله عنه ، في ذي القعدة سنة خمس

وتسعين وثمانمائة ، أحسن الله تقضيها في خير .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المصعد الأحمد

في ختم مسند الإمام أحمد

للعافظ شمس الدين بن الجزري ٧٥١ - ٨٣٣

قال الشيخ الإمام العالم العلامة شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري رحمه الله تعالى^(١)، عقيب ختم مسند الإمام المجلد، والحبر المفضل، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تغمده الله بالرحمة والرضوان، بالمسجد الحرام، وذلك في يوم الخميس حادي عشر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وثمانمائة:

أحمدُ الله الذي أسعد برواية الحديث النبوي وأصعد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يفوز بها من يشهد به. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد المخلوق، وحبيب الحق، فاتح الخير، وخاتم الأنبياء، محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه. وشرف وكرم ومجد

وبعد: فلما منَّ الله تعالى وفتح علينا بالسبيل الأحمد، ونسر إسماع هذا المسند الشريف مسند الإمام أحمد، وقد ختمته بهذا الحرم الأشرف الأعظم الأجدد، رأيت أن أكتب خاتمةً تُحمد، عند ختم هذا المسند. مشيراً إلى شيء مما رويناه في فضله وفضل جامع، وذكر إسنادي إليه ومُسَمِّعُه وسامعُه.

فأقول: أخبرني بجميع هذا المسند المبارك، وهو كتاب لم يُرَوَّ على وجه الأرض

(١) ولد بدمشق ليلة السبت ٢٥ رمضان سنة ٧٥١، وكان إمام القراءات في عصره غير مدافع. وله مؤلفات كثيرة فيها وفي الحديث، معروفة مشهورة. ومات بشيراز في ربيع الأول سنة ٨٣٣.

كتاب في الحديث أعلى منه ، جماعة من الشيوخ سماعاً وإجازةً ، ولكن أعنادي على السماع المتصل .

فأخبرني به كذلك مع الزيادات فيه لعبد الله بن أحمد وأبي بكر القطيعي ، الشيخ الصالح الأصيل رحلة البلاد ، وجامع لواء الإسناد ، وملحق الأضداد بالأجداد ، الإمام صلاح الدين أبو عبد الله وأبو عمر محمد بن الشيخ الصالح العالم تقي الدين أبي العباس أحمد بن الشيخ عز الدين إبراهيم بن الشيخ عبد الله بن شيخ الإسلام أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة بن نصر المقدسي الحنبلي ، رحمه الله تعالى ، قراءةً مني وسماعاً ، في مجالس متعددة ، أولها في شهور سنة سبعين وسبعائة ، وآخرها في سنة سبع وسبعين وسبعائة ، بالصالحية ظاهر دمشق الحروسة ، وإجازةً لما خالف أصل السماع إن خالف ، قلت له : أخبرك بجميع مسند الإمام أحمد من رواية ابنه عبد الله ، وبما فيه من زيادات ابنه عبد الله عن غير أبيه ، وزيادات القطيعي أيضاً ، وهي في مسند الأنصار رضي الله عنهم ، الشيخ الإمام العالم الثقة الصالح فخر الدين أبو الحسن علي بن الشيخ شمس الدين أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور السعدي المقدسي ، المشهور بابن البخاري الحنبلي ، رحمه الله تعالى ، قراءة عليه وأنت تسمع فأقر به ، قال : أخبرنا به الشيخ الصالح الثقة المسند أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج بن سعادة الواسطي ثم البغدادي الرصافي المكبر ، قراءة عليه وأنا أسمع ، قال أخبرنا الشيخ الصدر العالم الصالح للمعر ، رئيس العراق المسند ، أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن العباس بن الحصين الأزرق الكاتب الشيباني سماعاً ، قال : أخبرنا الشيخ المحدث العالم أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن وهب بن شبل بن فروة بن واقد التميمي الواعظ البغدادي ، المعروف بابن المذهب ، قال : أخبرنا الشيخ المحدث العالم المفيد الثقة أبو بكر أحمد بن جعفر بن جردان بن مالك بن شبيب بن عبد الله القطيعي البغدادي ، قال : حدثنا الشيخ الإمام الحجة الحافظ أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام الكبير العالم

الحجة الحافظ أحد أعلام الأمة ، ومن له على أهل السنة أعظم منة ، أي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني البغدادي ، قال : حدثني أبي شيخ الإسلام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، فذكره .

وسنشير إلى بعض تراجم هؤلاء ، كما وعدنا .

ونقدم فضل هذا الكتاب الجليل :

أخبرنا الثقات مشافهة وإجازة عن علي بن أحمد ، أن عفيفة بنت أحمد كتبت إليه ، أن أحمد بن عبد الحيار أنبأها ، قال : أنبأنا أبو إسحق إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي الفقيه ، ابن الفقيه ، قال حدثني أبو محمد القاسم بن الحسن الباقلائي ، قال : سمعت أبا بكر بن أبي حامد الفقيه يقول : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : قلت لأبي : لم كرهت وضع الكتب وقد عملت المسند ؟ فقال : عملت هذا الكتاب إماماً ، إذا اختلف الناس في سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رُجع إليه .

قلت : وقد أشكل هذا الكلام على بعض الناس ، فقال : كيف يقول الإمام أحمد هذا ، ونحن نجد أحاديث صحاحاً ليست في المسند ، كحديث أم زرع ، رواه البخاري في صحيحه وغيره ، وهو عند عبد الله بن أحمد ، كما رواه الطبراني في كتاب العشرة ؟

وأجيب عن ذلك بأن الإمام أحمد شرع في جمع هذا المسند ، فكتبه في أوراق مفردة ، وقرقه في أجزاء مفردة ، على نحو ما تكون المسودة . ثم جاء حلول المنية قبل حصول الأمانة ، فبادر بإسماعه لأولاده وأهل بيته ، ومات قبل تنقيحه وتهذيبه ، فبقي على حاله ، ثم إن ابنه عبد الله ألحق به ما يشاكله ، وضم إليه من مسوغاته ما يشابهه ويمثله ، فسمع القطيعي من كتبه من تلك النسخة على ما يظهر به منها ، فوقع الاختلاط من المسانيد والتكرار من هذا الوجه قديماً ، فبقي كثير من الأحاديث

في الأوراق والأجزاء لم يظفر بها ، فإلم يوجد فيه من الأحاديث الصحاح من هذا القبيل .

قلت : أما حديث أم زرع ، سمعت شيخنا الحافظ الحجة عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير يقول : إنما لم يخرج أحمد في المسند لأنه ليس من قول النبي صلى الله عليه وسلم ، بل هو حكاية من عائشه رضي الله عنها . والله أعلم .

وبالإسناد إلى أبي إسحق البرمكي قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا القاسم بن الحسن قال سمعت أبا الحسن بن عبيد الحافظ يقول : سمعت عبد الله بن أحمد يقول : خرَّج أبي المسند من سبعمائة ألف حديث .

وقال عثمان بن السباك : حدثنا حنبل قال : جمعنا أحمد بن حنبل أنا وصالح وعبد الله ، وقرأ علينا المسند ، وما سمعنا غيرنا ، وقال لنا : هذا الكتاب جمته وانتقيته من أكثر من سبعمائة ألف حديث وخمسين ألفاً ، فما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعوا إليه ، فإن وجدتموه وإلا فليس بحجة .

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي : هذا القول منه على غالب الأمر ، وإلا فلنا أحاديث قوية في الصحيحين والسنن والأجزاء ما هي في المسند ، وقد رآه تعالى أن الإمام قطع الرواية قبل تهذيب المسند ، وقبل وفاته بثلاث عشرة سنة ، فتجد في الكتاب أشياء مكررة ، ودخول مسند في مسند ، وسند في سند ، وهو نادر .

قلت : أما دخول مسند في مسند فواقع ، وقد بينته في كتابي (المسند الأحمد) . وأما قوله فما اختلف فيه من الحديث رجع إليه وإلا فليس بحجة ، يريد أصول الأحاديث ، وهو صحيح ، فإنه ما من حديث ظالماً إلا وله أصل في هذا المسند . والله أعلم .

وأما دخول سند في سند ، فلا أعلمه وقع فيه ، ولا شك أن الإمام أحمد مات قبل ترتيبه وتهذيبه . والله أعلم .

حدثني شيخنا الإمام العالم شيخ الفقهاء شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب الشافعي ، رحمه الله تعالى ، قال : مثل الشيخ الإمام الحافظ أبو الحسين علي بن الشيخ الإمام الحافظ الفقيه محمد التوميني ، رحمهما الله تعالى : أنت تحفظ الكتب الستة ؟ فقال : أحفظها وما أحفظها ، فقبل له : كيف هذا ؟ فقال : أنا أحفظ مسند أحمد ، وما يفوت المسند من الكتب الستة إلا قليل ، أو قال : وما في الكتب هو في المسند ، يعني إلا قليل ، وأصله في المسند ، فأنا أحفظها بهذا الوجه . أو كما قال رحمه الله تعالى .

وقال الإمام الحافظ الكبير أبو موسى محمد بن أبي بكر المديني : وهذا الكتاب أصل كبير ، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث ، انتقي من حديث كثير ومسموعات وافرة ، فجعله إماماً ومتممداً ، وعند التنازع ملجأً ومستنداً . قلت : ولعمري إن كان قبلنا من الحفاظ يتبجحون بجزء واحد يقع لهم من حديث هذا الإمام الكبير . ثم ذكر حكاية عن الإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم ، وأنه لما عزم على إخراج الصحيحين خرج إلى الحج في موسم سنة سبع وستين ، فلما ورد في سنة ثمان وستين ، يعني وثلثمائة ، أقام بعد الحجاج ببغداد أشهراً ، وسمع جملة المسند من أبي بكر بن مالك ، وعاد إلى وطنه ، ومديده إلى إخراج الصحيحين على تراجم المسند .

قال الحافظ أبو موسى : فأما عدد أحاديثه فلم أزل أسمع من أفواه الناس أنها أربعون ألفاً ، إلى أن قرأت على أبي منصور بن زريق القزاز ببغداد قال : حدثنا أبو بكر الخطيب قال : حدثنا ابن المنادي : لم يكن أحد في الدنيا أروى عن أبيه منه ، يعني عبد الله بن أحمد بن حنبل ، لأنه سمع المسند ، وهو ثلاثون ألفاً ، والتفسير ، وهو مائة ألف وعشرون ألفاً ، سمع منها ثمانين ألفاً والباقي وجادة ، فلا أدري هل الذي ذكره ابن المنادي أراد به ما لا مكرر فيه ، أو أراد غيره مع المكرر ، فيصح القولان

جميعاً ، أو الاعتماد على قول ابن المنادي دون غيره ، قال : ولو وجدنا فراغاً لمعدناه
إن شاء الله تعالى .

ثم قال : وجدت بخط الشيخ أبي حامد أبي الفتح : ذكر أبو عبد الله الحسين
بن أحمد الأسدي في كتابه المسمى بمناقب أحمد بن حنبل أنه سمع أبا بكر بن مالك
يذكر أن جملة ما واهه المسند أربعون ألف حديث غير ثلاثين أو أربعين . قال
الحافظ الذهبي : فلو عدّه بعض الأصحاب لأفاد ، ولا يسهل عدّه إلا بالمكرّر والمُعَاد ،
وأما عدّه بلا مكرّر فيصعب ، ولا ينضبط تحريره ذلك .

قلت : وقد وقفت لبعض أصحابنا على عدد بعض المسانيد . فقال :

مسند بني هاشم : خمسة وسبعون حديثاً .

مسند أهل البيت : خمسة وأربعون حديثاً .

مسند عائشة : ألف حديث وثلاثمائة وأربعون حديثاً .

مسند النساء : تسعمائة وستة وثلاثون حديثاً .

مسند ابن مسعود : ثمانمائة وخمسة وسبعون حديثاً .

مسند أنس : ألفان وثمانمائة وثمانون حديثاً .

آخر ما رأيته ، وجملته : سبع آلاف ومائة وأحد وسبعون حديثاً^(١) .

وبقي مسند العشرة ، ومسند أبي هريرة ، ومسند أبي سعيد الخدري ، ومسند
جابر بن عبد الله ، ومسند عبد الله بن عمر ، ومسند عبد الله بن عباس ، ومسند عبد الله
بن عمرو بن العاص ، وفي آخره مسند أبي ربيعة ، ومسند الأنصار رضي الله عنهم ، ومسند
المكيين والمدنيين ، ومسند الكوفيين ، ومسند البصريين ، ومسند الشاميين ، فهذه
جميع مسانيد مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى ورضي عنه .

(١) كذا في الأصل ، وهو خطأ ، فإن جملة العدد الذي ذكر ، هو ٦١٥١ ، وفيه
خطأ في التفصيل أيضاً ، فإن مسند ابن مسعود ، في العد الذي عندي ٩٠٠ حديث ،
ومسند أنس ٢١٩٢ .

قال الحافظ أبو موسى : فأما عدد الصحابة فتحوسبمائة رجل . ومن النساء مائة وثئف .

قلت : قد عددتهم لما أفردتهم في كتابي المسند ، فبلغوا ستمائة وثئفاً وتسعين . سوى النساء الصحابيات . وعددت النساء الصحابيات فبلغن ستاً وتسعين . واشتمل المسند على نحو ثمانمائة من الصحابة . سوى ما فيه ممن لم يسم من الأبناء والمبهمات وغيرهم .

فأما الأبناء فيه قمانية ، منهم اثنان عُرف اسمهما ، وهما ابنُ أُنْزَى ، وهو عبد الرحمن ، وابنُ الأمين ، واسمه عبد الله ، وقيل زياد ، ويقال له أبو لَآي .

وأما شيوخه الذين روى عنهم في المسند فإني عددتهم ، فبلغوا مائتين وثلاثة وثمانين رجلاً .

وأما شيوخ ابنه عبد الله الذين روى عنهم في مسند أبيه فعددتهم مائة وثلاثة وسبعون رجلاً . وقد أثبت ذلك وذكرتهم في كتابي (المسند الأحمد) . ولكن شيوخه الذين روى عنهم وسمع منهم فيزبدون على الأربعائة ، ذكره الحافظ أبو بكر بن نُقْطَة في كتاب مفرد .

وأما شرطه ، فقال الحافظ أبو موسى المدني : لم يخرج أحد في مسنده إلا ممن ثبت عنده صدقه ، وديانته ، دون من طعن في أمانته .

قال : ومن الدليل على أن ما أودعه مسنده قد احتاط فيه إسناداً وممتناً ولم يورد فيه إلا ما صح عنده ، وساق أبو موسى أحاديث ذكرتها في السند ، فلا تطول بذكرها هنا . وقال الحافظ أبو القاسم إسماعيل التيمي رحمه الله تعالى : لا يجوز أن يقال فيه السقيم ، بل فيه الصحيح المشهور ، والحسن ، والغريب .

وقال شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية رحمه الله تعالى : وقد تنازع الناس هل

في مسند أحمد حديث موضوع ، فقال طائفة من حفاظ الحديث ، كأبي العلاء
 الهمداني ونحوه : ليس فيه موضوع ، وقال بعض العلماء ، كأبي الفرج بن الجوزي :
 فيه موضوع . قال أبو العباس : ولا خلاف بين القولين عند التحقيق ، فإن لفظ
 « الموضوع » قد يُراد به المخلوق المصنوع الذي يتعمدُ صاحبه الكذب ، وهذا
 مما لا يُعلم أن في المسند منه شيئاً ، بل شرط المسند أقوى من شرط أبي داود في سنته ،
 وقد روى أبو داود في سنته عن رجال أعرض عنهم في المسند قال : ولهذا كان
 الإمام أحمد في المسند لا يروي عن من يُعرف أنه يكذب ، مثل محمد بن سعيد المصلوب
 ونحوه ، ولكن يروي عن من يُضعف لسوء حفظه ، فإن هذا يكتب حديثه . ويُعتضدُ
 به ويُعتبر به ، قال : ويراد بالموضوع ما يُعلم انتفاء خبره ، وإن كان صاحبه لم يتعمد
 الكذب ، بل أخطأ فيه ، وهذا الضرب في المسند منه ، بل وفي سنن أبي داود
 والنسائي ، وفي صحيح مسلم والبخاري أيضاً ألفاظ في بعض الأحاديث من هذا الباب ،
 لكن قد بين البخاري حالها في نفس الصحيح . قلت : ولهذا الكلام تمة تذكر
 في المسند الأحمد .

فصل

في فضل جامعهم وترجمة رجال إسنادنا إليه

أما الإمام أحمد : فهو إمام المسلمين ، وأزهد الأئمة ، وشيخ الإسلام ، وأفضل
 الأعلام في عصره ، وشيخُ السنة ، وصاحبُ النِّنة على الأمة ، أبو عبد الله أحمد بن
 محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أسد
 بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن دُهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب
 بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعْمَي بن جديلة بن أسد
 بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

وقد غلط قوم فجعلوه من ولد ذهل بن شيبان ، وإنما هو من ولد شيبان بن ذهل بن ثعلبة . وذهل بن ثعلبة هو عم ذهل بن شيبان

وقد اجتمع أحمد والنبي صلى الله عليه وسلم في نزار ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم مُضَرِّي من ولد مُضَر بن نزار ، وأحمد بن حنبل رُبَيعِي ، من ولد ربيعة بن نزار ، فهو أخو مضر بن نزار .

وكانت أم أحمد شيبانية أيضاً ، واسمها صفية بنت ميمونة بنت عبد الملك الشيباني ، من بني عامر ، كان أبوه نزل بهم وتزوج بها . وكان عبد الملك بن سودة بن هند الشيباني من وجوه بني عامر . وكان ينزل بها قبائل العرب فيضيفهم .

وولد أحمد رضي الله عنه في العشرين من ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة ببغداد ، وجيء به من مرو إلى بغداد .

وقال الحافظ أبو يعلی الخليلي : إنه ولد بمرو ثم حل إلى بغداد وهو رضيع . وكان أبوه في زى الغزاة ، وأصله من البصرة ، وتوفي أبوه محمد وله ثلاثون سنة ، وأحمد طفل .

قال الإمام أحمد : لم أر جدي ولا أبي . فنشأ ببغداد وعرف فضله وهو غلام في الكتاب ، فسمع من هشيم ، وإبراهيم بن سعد ، وسفيان بن عيينة ، ويحيى القطان ، وعبد بن عباد ، وهذه الطبقة . وسمع بالعراق والحجاز والشام واليمن .

روى عنه البخاري ، وروى عن واحد عنه في صحيحه ، ومسلم ، وأبو داود ، وأبو زرعة ، [وأبو حاتم الرازيان] وعبد الله وأخوه صالح ابنه ، وخلق كثير ، آخرهم أبو القاسم النغوي .

وأول طلبه الحديث سنة تسع وسبعين ، وله ست عشر سنة . رحمه الله تعالى .

قال عبد الله بن أحمد : سمعت أبا زرعة يقول : كان أبوك يحفظ ألف ألف

حديث ، قيل : وما يدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت على الأبواب .

وقال أبو عبيد : انتهى العلم إلى أربعة أقتبهم أحمد ، ثم قال : لست أعلم في الإسلام مثله .

وقال ابن اللديني : إن الله تعالى أيد هذا الدين بأبي بكر الصديق رضي الله عنه يوم الردة ، وبأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يوم الحنة .

وقال يحيى بن معين : والله ما تحت أديم السماء أفقه من أحمد بن حنبل ، ليس في شرق ولا غرب مثله .

وقال حرمله : سمعت الشافعي يقول : ما خلفت ببغداد أفقه ولا أورع ولا أعلم من أحمد .

وقال الحافظ الذهبي ، ومن خطه نقلت : انتهت إليه الإمامة في الفقه والحديث والإخلاص والورع ، وأجمعوا على أنه ثقة حجة إمام .

وقال أيضاً فيه : عالم العصر ، وزاهد الوقت ، ومحدث الدنيا ، ومفتي العراق ، وعلم السنة ، وباذل نفسه في الحنة ، وقل أن ترى العيون مثله ، كان رأساً في العلم والعمل ، والمسك بالأثر ، ذا عقل رزين ، وصدق متين ، وإخلاص مكين ، وخشية ومراقبة العزيز العليم ، وذكاء وفطنة ، وحفظ وفهم ، وسعة علم . هو أجل من أن يمدح بكلمي ، وأن أفوه بذكره بكمي

قال : وكان أربعة من الرجال أسمر . وقيل : كان طويلاً ، يخضب بالحناء ، وفي لحيته شعر أسود ، ويلبس ثياباً غليظة ، ويتزر ويعتم . تملوه سكينه ووقار وخشية ، رضي الله عنه .

قال : وكانت وفاته يوم الجمعة عاشر أو حادي [عشر] ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين . وله سبع وسبعون سنة وعشر ليال .

وشيعه أم لا يحصيهم إلا الله تعالى ، حُزِرُوا بثاني مائة ألف نفس ، فالله تعالى أعلم .

وأما ابنه أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ، فهو الإمام الحجة ، الحافظ العمدة ، الذهلي الشيباني البغدادي ، أحد الأعلام .

ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين . وطلب الحديث في حدائقه ، بل قبل ذلك وكان أخوه صالح بن أحمد القاضي أسن منه .

وأكبر شيخ له يحيى بن عبدون من أصحاب شعبة .

روى عن قتيبة بن سعيد بالإجازة ، وشيوخه يزيدون على الأربعمائة ، كما تقدم . وروى عن أبيه المسند ، والتفسير ، والزهد ، والتاريخ ، والعلل ، والسنة ، والمسائل ، وغير ذلك .

روى عنه أبو الإمام أحمد ، وأبو عبد الرحمن النسائي ، وابن أبي حاتم ، وابن صاعد ، وأبو عوانة ، ودعبلج ، وأبو بكر النجّاد ، وأبو القاسم البغوي ، وأبو القاسم الطبراني ، وأبو علي بن الصوّاف ، والقاضي المحاملي ، وأبو الحسن أحمد بن محمد اللّيثاني^(١) ، وأبو بكر الشافعي ، وأبو بكر القطيعي ، وجماعة كثيرة .

وجمع وصنف ، ورتّب مسنداً أبيه وهذب به بعض التهذيب ، وزاد فيه أحاديث كثيرة عن مشايخه .

قال عباس الدوري : كنت يوماً عند أحمد بن حنبل . فدخل ابنه عبد الله ، فقال : يا عباس ، إن أبا عبد الرحمن قد وّعى علماً كثيراً .

وقال أبو زرعة : قال لي أحمد : ابني عبد الله محظوظ من علم الحديث ، لا يكاد يذاكرني إلا بما لا أحفظ .

(١) يضم اللام وسكون النون وبعدها باء موحدة نسبة إلى « لثيان » وهي

حجلة بأصبعان ، كما في المشتبه للذهبي ٤٥٢ — ٤٥٣ ومعجم البلدان ٧ — ٣٣٨ .

وقال ابن عديّ : نَبَل عبد الله بآبيه ، وله في نفسه محل من العلم ، أحيا علم أبيه بمسند الذي قرأه أبوه عليه خصوصاً ، قبل أن يقرأه على غيره ، ولم يكتب عن أحد إلا من أمره أبوه أن يكتب عنه .

وقال بدر البغدادي : عبد الله بن أحمد جهيز بن جهيز .

وقال الخطيب البغدادي : كان ثقةً ثباتاً فهاً .

وقال الذهبي : له من التصانيف كتاب السنة مجلد ، وكتاب الجمل والوقعة مجلد ، وكتاب سؤالاته أباة ، وغير ذلك .

قال : ولو أنه حرر ترتيب المسند وتربه وهذبه لأتى بأسنى المقاصد ، فلعن الله تبارك وتعالى أن يقيض لهذا الديوان السامي من يخدمه ويبوّب عليه ، ويتكلم على رجاله ، ويرتب هيئته ووضعه ، فإنه محتو على أكثر الحديث النبوي ، وقل أن يثبت حديث إلا وهو فيه . قال : وأما الحسان فما استوعبت فيه ، بل عامتها إن شاء الله تعالى فيه . وأما القران وما فيه لين فروى من ذلك الأشهر ، وترك الأكثر ، مما هو مأثور في السنن الأربعة ، ومعجم الطبراني الأكبر ، والأوسط ، ومسند أبي يعلى ، ومسند البزار ، ومسند نسى بن مخلد ، وأمثال ذلك .

قال : ومن سعد مسند الإمام أحمد [أنه] قل أن تجد فيه خيراً ساقطاً .

قلت : أما ترتيب هذا المسند ، فقد أقام الله تعالى لترتيبه شيخنا خاتمة الحفاظ الإمام الصالح الورع ، أبا بكر محمد بن عبد الله بن المحب الصامت ، رحمه الله تعالى ، فرتبه على معجم الصحابة ، ورتب الرواة كذلك ، كترتيب كتاب الأطراف ، نصب فيه تمباً كثيراً .

ثم إن شيخنا الإمام مؤرخ الإسلام ، وحافظ الشام عماد الدين أبا القداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، رحمه الله تعالى ، أخذ هذا الكتاب المرتب من مؤلفه ، وأضاف

إليه أحاديث الكتب الستة ، ومعجم الطبراني الكبير ، ومسند البزار ، ومسند أبي يعلى الموصلي ، وأجهد نفسه كثيراً ، وتعب فيه تعباً عظيماً ، فجاء لا نظير له في العالم ، وأكله إلا بعض مسند أبي هريرة ، فإنه مات قبل أن يكمله ، فإنه عوجل بكف بصره ، وقال لي رحمه الله تعالى : لازلت أكتب فيه في الليل والسراج يُنَوِّنْص حتى ذهب بصري معه ، ولعل الله يُقَيِّضُ له من يكمله ، مع أنه سهل ، فإن معجم الطبراني الكبير لم يكن فيه شيء من مسند أبي هريرة رضى الله عنه .

وقد بلغني أن بعض فضلاء الحنابلة بدمشق اليوم رثبه على ترتيب صحيح البخاري ، وهو الشيخ الإمام الصالح العالم أبو الحسن علي بن زكّون الحنيلي ، جزاه الله تعالى خيراً ، وأعانته على إكماله في خير ، فإنه أنفع كتاب في الحديث ، ولا سيما أنه عزّأ أحاديثه .

وأما رجال المسند : فما لم يكن في تهذيب الكمال ، أفردته المحدث الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن الحسين الحسيني ، بإفادة شيخنا الحافظ أبي بكر محمد بن الحبّ فيما قصر ، وما فاتته فإني استدركته وأضفته إليه في كتاب سمّيته (المقصد الأحمد ، في رجال مسند أحمد) وقد تلف بعضه في الفتنة ، فكتبته بعد ذلك مختصراً .

ولما مرض عبدُ الله رحمه الله تعالى مرضَ الوفاة ، وقيل له : أين تحب أن تُدفن ؟ فقال : صحَّ عندي أن بالقَطِيعَةِ نبيّاً مدفوناً ، فلأن أكون في جوار نبي أحبُّ إليّ من أن أكون في جوار أبي .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد لتسعين بقين من جمادى الآخرة ، سنة تسعين ومائتين ، عن سبع وسبعين سنة ، كسر أبيه ، رحمه الله تعالى .

وأما القطيعي الراوي عنه ، فقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي عنه : هو المحدث

العالم المفيد الصدوق ، مسند بغداد ، أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان ، واسم حمدان ، أحمد بن مالك بن شبيب بن عبد الله ، البغدادي السالكي نسباً ، الحنيلي مذهباً ، سكن قَطِيعَةً الدقيق فنُسب إليها .

ولد في الحرم سنة أربع وسبعين ومائتين ، وسمع ، وهو مميز باعتناء أبيه ، من محمد بن يونس الكندي ، وإبراهيم الحربي ، وإسحق بن الحسن الحربي ، وبشر بن موسى الأسدي ، وعبد الله بن الإمام أحمد ، وإدريس الحداد ، وأبي يعلى الموصلي ، وجماعة ، وارتحل إلى البصرة والكوفة والموصل وواسط ، وكتبَ وجمع ، مع الصدق والدين والخبر والسنة .

حدث عنه الحاكمُ فأكثر ، والدارقطني ، وابنُ شاهين ، وابنُ رَزَقَوْنَه ، وابنُ أبي الفوارس ، والقاضي الباقلاني ، وأبو بكر البرقاني ، وأبو نعيم الأصبهاني ، وأبو علي بن المذهب ، وخلق ، آخرهم موتاً أبو محمد الجوهري ، بقي إلى سنة أربع وخمسين وأربعمائة .

وكان أكثراً عن ابن الإمام أحمد ، سمع منه المسند ، والزهد ، والفضائل ، والتاريخ ، والمسائل .

قال محمد بن الحسين بن بُكَيْر : سمعت القطيعي يقول : كان عبد الله بن أحمد يجيئنا فيقرأ عليه عمُّ أبي ، أبو عبد الله بن الجصاص ، فيتعذني عبد الله في حجره ، حتى يقال له : يؤملك ؟ فيقول : إني أحبه .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : سألت الدارقطني عن القطيعي ؟ فقال : ثقة زاهد قديم ، سمعت أنه مجاب الدعوة .

وقال البرقاني : لَبِثْتُه عند أبي عبد الله الحاكم فأنكر عليّ ، وحسن حاله ، وقال : كان شيعي .

وقال الحاكم أيضاً : هو ثقة مأمون .

وقال الخطيب البغدادي : لم نر أحداً ترك الاحتجاج به .

قلت : توفي رحمه الله تعالى لسبع بقين من ذي الحجة سنة ثمان وستين وثلاثمائة ببغداد .

وقد اجتمع في عصره أربعة كلٌّ منهم « أحمد بن جعفر بن حمدان » : هو رحمه الله تعالى ، والثاني أحمد بن جعفر بن حمدان الدينوري ، يروي عن عبد الله بن محمد سنان ، روى عنه علي بن القاسم بن شاذان الرازي وغيره . والثالث أحمد بن جعفر بن حمدان بن عيسى بن ذريق أبو بكر السَّقَطِي البصري ، حدث عن عبد الله بن أحمد الدَّوْرَقِي وعنه أبو نعيم الأصبهاني . والرابع أحمد بن جعفر بن حمدان الطرسوسي ، يروي عن عبد الله بن جابر الطرسوسي وغيره ، حدث عنه عبد الرحمن بن أبي نصر الدمشقي وغيره ، ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخ دمشق .

وأما الراوي عن القطيعي وهو ابن المذهب ، فقال الحافظ الذهبي : هو المحدث العالم الواعظ المصنف أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن وهب بن شبل بن فروة ، التميمي البغدادي ، ابن المذهب .

ولد سنة خمس وخمسين ، وسمع المسند وهو ابن عشر من القطيعي ، وسمع منه عدة أجزاء عالية ، ومن محمد بن المظفر ، وعلي بن لؤلؤ الوراق ، وأبي محمد بن ماسي ، وأبي بكر الوراق ، وأبي بكر بن شاذان ، وابن شاهين ، والدارقطني ، وعدة . وطلب بنفسه وكتب وتنبه . وكان عنده الزهد أيضاً للإمام أحمد عن القطيعي ، وروى فضائل الصحابة أيضاً لأحمد وزياداته ، وغيره أتقن منه وأعرف وأمثل .

روى عنه أبو بكر الخطيب كثيراً ، وأبو الفضل بن خَيْرُون ، وابن مَأكُولَا
الأمير ، وأبو الحسين بن الطيوري ، وابن الحَصِين ، وغيرهم .

قال الخطيب : كان يروي عن القطيعي المسند بأسره ، وكان سماعه صحيحاً إلا في
أجزاء منه ، فإنه ألحق اسمه .

قال : وكان يروي الزهد ولم يكن به أصلٌ ، إنما النسخة بخطه ، وليس محل
الحجة ، قال الذهبي عقيب هذا : لكنه في نفسه صدوق ، ما هو بمتهم .

ثم قال الخطيب : وحدث بحديث عن القطيعي عن أبي شعيب الخَرَائِي ما كان
عنده . قال الذهبي : لعله وهم .

قال الخطيب : وكان يسألني عن أسماء جماعة فيلحق في أسمائهم أنسابهم موصولةً ،
فأنها فلا ينتهي ، قال الذهبي : هذا ترخص لا يسوغ .

وقال ابن نُعْطَةَ : لیت الخطیب نبّه فی أي مسند تلك الأجزاء التي استثنى ،
ولو فعل ذلك لأفاد .

قال : وقد ذكرنا أن مسندي فضالة بن عبيد وعوف بن مالك لم يكونا في نسخة
ابن المذهب ، وكذلك أحاديث من مسند جابر سقطت ، وقد رواها الحرّائي عن
القطيعي ، ثم قال : ولو كان ممن يلحق اسمه لألحق ما ذكرناه أيضاً . قال : والعجب
من الخطيب يرد قوله فعله ، فقد يروي عنه من الزهد في مصنفاته !

قلت : وقد وجد بخط الحافظ المِزِّي رحمه الله تعالى ، أن ابن المذهب فاته على
القطيعي من المسند حديث فضالة بن عبيد وعوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنهما ،
وهما من مسند الشاميين رضي الله عنهم ، قال : فإن ذلك ليس عند ابن المذهب .

وقال الحافظ الذهبي : قال أبو الفضل بن خَيْرُون ، وناهيك به فضلاً وعلماً :

صممتُ من ابن المذهب جميع ما عنده ، وقال : توفي في تاسع عشر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وأربعمائة .

وأما ابن الحسين رحمه الله تعالى ، فقال الحافظ الذهبي : هو الصدر العالم الكبير المرتضى مسند العراق ، أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن العباس بن الحسين الشيباني البغدادي الكاتب ، خال الوزير العادل عون الدين بن هبة .

قال : ولدتُ في ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، وسمع المسند كاملاً من ابن المذهب في أواخر سنة ست وسبع وثلاثين وأربعمائة ، وسمع منه أيضاً الغيلانيات ، وهي أحد عشر جزءاً ، ومن أبي محمد الحسين بن المقتدر ، وأبي القاسم التتوخي ، وأبي الطيب الطبري ، وآخرين ، وأملى مجالس بانتقاء ابن ناصر له . قرأ عليه المسند .

وسمعه منه حفاظ العصر وأئمة ، منهم أبو الفضل بن ناصر ، قرأه عليه مراراً ، وأبو طاهر السني ، وأبو العلاء الحمداني ، وأبو القاسم بن عساكر ، وأخوه الصائغ ، وأبو موسى المدني ، وقاضي القضاة أبو الحسن بن الدامغان ، وقاضي القضاة أبو سعيد بن أبي عمرو ، والإمام أبو الفرج بن الجوزي ، وشيخ الشيوخ أبو أحمد بن سوكينة ، وعبد الله بن أبي الجعد الحربي ، وأبو العباس المندائي ، ولاحق بن حيدرة ، والحسين بن أبي نصر بن الفارض ، وعمر بن جريرة^(١) ، ومبارك بن مختار ، والقاضي عبيد الله بن محمد الساي ، وأبو محمد بن الحشّاب النحوي ، وأبو محمد بن شديني ، وعلي بن محمد الخطوي الواعظ ، وعبد الله بن أحمد العمري ، وأبو علي حنبل بن عبد الله الرصافي ، وروى عنه خلق ، منهم أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد .

(١) هكذا بالأصل ، والذي في المشته للذهبي ١٠٦ أن «جريرة» بالتصغير : لقب عمر بن محمد القطان . وذكر أنه مات سنة ٤٠٠ هـ .

قال أبو سعد السمعاني : ثقة دين صحيح السماع ، واسع الرواية ، تفرّد وازدحموا عليه . وعن أخذ عنه معمر بن الفاخر ، وابن عساكر ، وعدة . وكانوا يصفونه بالسداد والأمانة والخيرية .

وقال ابن الجوزي : كان ثقة .

ومات في رابع عشر شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة باب حرب ، قريباً من بشر الحافي رحمه الله تعالى .

وأما حنبل رحمه الله تعالى . فهو المسند المعمر الصالح الخير مسند العراق ، أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج بن سعادة الواسطي البغدادي الرضا في الكبير .

وُلد سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، ولما ولد بادر والده إلى شيخ الإسلام عبد القادر الكيلاني فأعطاه أنه وُلد له وُلد ذكر ، فقال له : سم ابنك حنبلاً وأسمعه المسند ، فإنه يُعزّو ويُحتاج إليه . قل الذهبي : فكانت هذه من كرامات الشيخ رحمه الله تعالى . فسمّاه أبوه وعمره اثنتا عشرة سنة جميع المسند من ابن الحُصَيْن بقراءة نحوي [عصره] أبي محمد بن الخشاب ، في شهر رجب وشعبان سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، قراءةً بليغةً محررةً ، ما حُفظ عليه فيها لحنٌ ، وكان والده عبداً صالحاً ، قد وقف نفسه على السعي في مصالح المسلمين ، والمشي في حوائجهم ، ويحرض على تجهيز موتى الطرق ، ويُعين الملهوف .

ثم قال الحافظ الجوّاد أبو الطاهر بن الأنماطي فيما قرأت بخطه : تنبعت سماع حنبل للمسند من عدة نسخ وأثبات ، وخطوط أنمة أثبات ، إلى أن شاهدت بها أصول سماعه لجميع المسند ، سوى أجزاء من أول مسند ابن عباس ، شاهدتُ بها نقل سماعه بخط من يوثق به ، وسمعت منه جميع المسند ببغداد ، في ثيف وعشرين مجلساً ،

ثم أخذتُ أرغبه في السفر إلى الشام ، وقلت له : يحصل لك من الدنيا شيء ، وتقبل عليك وجوه الناس ، فقال : دعني ، فوالله ما أسافر من أجلهم ، ولا لما يحصل منهم ، إنما أسافر خدمةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أروي أحاديثه في بلاد تروى . قال : ولما علم الله تعالى نيته الصالحة ، أقبل بوجوه الناس عليه ، وحركهم الهمم للسماع عليه ، فاجتمع عليه جماعة ما اجتمعوا بمجلس بدمشق .

قلت : [وذلك] في مجالس ، آخرها في صفر سنة ثلاث وستائة .

قال : فحدث بالمسند بالبلدة مرة ، وبالجامع المظفرى أخرى ، وازدحم عليه الخلقُ وسمع منه السلطانُ الملكُ المعظمُ وأقاربه ، وأبو نحر الزاهد ، وسائر المقادسة ، وحدث عنه الكبار بالمسند ، كالشيخ الفقيه بعلبك ، وقاضي الحنفية شمس الدين عبد الله بن عطاء ، والشيخ قهي الدين بن أبي اليسر ، والشيخ شمس الدين بن قدامة ، والشيخ شمس الدين أبي الفنائم بن غلان ، والشيخ أبي العباس بن شيبان ، والشيخ فخر الدين بن البخاري ، والمرأة الصالحة زينب بنت مكّي .

وأما من حدث عنه ببعض المسند فعدد كثير ، كالكمال عبد الرحيم بن عبد الملك ، وأبي بكر بن محمد الهروي ، وابن البخاري ، وابن خليل ، وابن الدبيني ، وخطيب مراد ، والشيخ الضياء ، وأبي علي البكري ، ويعقوب بن المتمد ، وعبد الوهاب بن محمد .

ورجع إلى وطنه ، فرعى حلب ، فحدث بالمسند بها ، ثم بالموصل ، فحدث بالمسند بها أيضاً ، وداربل ، ودخل إلى بغداد بخير كثير .

فتوفي بالرصافة في نصف الحرم سنة أربع وستائة ، عن نحو ثلاث وتسعين سنة ، رحمه الله تعالى .

وأما ابن البخاري رحمه الله تعالى : فهو الشيخ الإمام العالم الحديث ، الفقيه

الصلح ، الثقة الأمين ، علي فخر الدين أبو الحسن ، بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور ، السعدي المقدسي الحنبلي ، الشهير بابن البخاري ، لأن أبيه شمس الدين أحمد توجه إلى بخارى وتقه بها .

ولد الشيخ فخر الدين في آخر يوم من سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وأجازه في سنة ست وتسعين خلق ، وكتبوا له بالإجازة من خراسان ، وفارس ، وأصبهان ، وبغداد ، ومصر ، والشام ، وغير ذلك .

ذكره شيخنا الحافظ تقي الدين أبو المعالي محمد بن رافع السلافي في ذيله على تاريخ بغداد ، ومن خطه نقلت ، فقال :

أبو الحسن بن أبي العباس الصالح ، الملقب بفخر الدين بن شمس الدين الحنبلي ، المعروف بابن البخاري .

سمع من أبي حفص عمر بن محمد بن طبرزد ، وحتبل بن عبد الله الرصافي ، وزيد بن الحسن السكندي ، والحضر بن كامل بن سالم بن سبيع ، وأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن البناء . والقاضي أبي القاسم عبد الصمد بن محمد بن الحرستاني ، وداود بن أحمد بن ملعب ، وأبي الفتوح محمد بن علي بن الجلاجلي ، ومحمد بن عمرو البكري ، وأبي المحاسن محمد بن كامل بن أسد التنوخي ، وأبي الحرم مكي بن ريان الماكيني ، وعبد الحميد بن زهير الحربي ، وأبي المعالي محمد بن وهب بن الزنف ، وأبي الحسين غالب بن عبد الخالق الحنفي ، وأبي مسعود عبد الجليل بن مندويه الأجهاني ، وأبي العباس هبة الله بن أحمد الكعبي ، وأبي المعالي أسعد ، وأبي محمد عبد الوهاب بن المتجا التنوخي ، وأبي القاسم أحمد بن عبد الله العطار ، وأبي الفضل أحمد بن محمد بن سيدهم ، وأبي محمد هبة الله بن الحضر بن طائوس ، وأبي الجعد محمد بن الحسين القزويني ، وأبي عمر محمد ، وأبي محمد عبد الله ، ابني أحمد بن قدامة ، وست الكتبة نعمة بنت الطراح ، وأم الفضل زينب بنت إبراهيم القيسية .

وبغداد من أبي الفضل عبد السلام بن عبد الله الدهري ، وأبي حفص عمر بن كرم الدينوري ، وغيرهم .

وبيت المقدس من الحسن بن أحمد الأوقى ، وعمر بن بدر بن سعيد الموصلي .
وبمصر من أبي البركات عبد القوي بن الحباب ، والحسين بن يحيى بن أبي الرواد .
وبالقاهرة من مرتضى بن العفيف .

وبالإسكندرية من ظافر بن طاهر بن شحم ، وجعفر بن علي الممداني ، والحسين بن يوسف الشاطبي ، وعبد الوهاب بن رواح ، وعبد الرحمن بن مكى سبط السلفي .
وبحلب من يوسف بن خليل ، وعمر بن سعيد بن نخش .
وأجاز له من أصحابه أبو المكارم أحمد بن محمد اللبان ، وأبو جعفر محمد بن أحمد الصيدلاني ، وغيرها .

ومن بغداد أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، ويوسف بن المبارك الخفاف ، وهبة الله بن السبط ، وعبد الله بن ذهيل بن كارة ، والمبارك بن المعطوش ، وضياء بن التخرّيف ، وعبد الرحمن بن أبي ياسر من ملاح الشط ، في آخرين .
ومن دمشق بركات الخشوعي .

وحدث ، سمع منه الحفاظ سنة اثنتين وثلاثين وستائة ، سمع عليه الحفاظ رشيد الدين علي بن يحيى العطار ، وسمع منه المنذري عبد العظيم ، والفاضل بدر الدين بن جماعة ، وأبو محمد الحارثي ، وأبو الحجاج المزني ، وأبو محمد الحلبي ، والبرزالي ، وأبو الحسن بن علي بن العطار ، والشيخ تقي الدين بن تيسية ، وأبو الحسن علي بن حسن الأموري ، وصالح بن مختار الأسنوي ، وأبو محمد عبد العزيز البغدادي ، وأبو عمر نصر الله ، وأبنا عتي وهب وهام ابني منبه ، وابن عتي الآخر شافع بن محمد ، وأبو الفضل عبد الأحد بن سعد الله بن نجيب الحراني ، وأبو إسحق إبراهيم بن علي

المعروف بابن عبد الحق الحنفي، وعبد الكريم بن عبد النور الحلبي، وأحمد بن يعقوب بن أحمد الصابوني، ووالده، وقاضي القضاة عز الدين محمد بن سليمان بن حمزة، والقاضي شمس الدين محمد بن أبي بكر بن النقيب.

قال: فذكره القرضي في معجمه، ونقلته من خطه فقال: نزيل سفح قاسيون، كان شيخنا عالماً، فقيها زاهداً، عابداً مسنداً، مكثراً وقوراً، صبوراً على قراءة الحديث، مكرماً للطلبة، ملازماً لبيتته، مواظباً على العبادة، وكان من بيت العلم والحديث، والرواية والتحديث، وكان مسند عصره، ورحلة الدنيا في زمانه، قد ألحق الأصاغر بالأكابر، والأحفاد بالأجداد، قد حدث نحواً من ستين سنة، وتفرد بالرواية عن شيوخ كثيرة، سماعاً وإجازة. انتهى، أي كلام القرضي.

ثم قال شيخنا ابن رافع: وخرج له الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد الظاهري معجباً، وحدث به مراراً، وحفظ المصنف، وعرضه على مصنفه الشيخ موفق الدين بن قدامة سنة ست عشرة وستائة، وتفق واشتغل، وكان فاضلاً صالحاً، كامل العقل متين الديانة، مكرماً لأهل الحديث، يحفظ كثيراً من الأحاديث وال نوادر، والملح والطرف، وتفرد بأكثر مسروعاته وإجازاته، وهو آخر من حدث عن ابن طبرزد بالسماع. انتهى ما نقلته من خط شيخنا ابن رافع.

قلت: وقد قرئ عليه للسند مرات، آخرها في سنة تسع وثمانين وستائة، سمعه منه جماعات، بقراءة الإمام كمال الدين أحمد بن أحمد بن محمد بن الشريشي، منهم شيخنا أم محمد ست العرب بنت محمد ابنة حاضرة في الرابعة، وآخرهم شيخنا صلاح الدين محمد بن أحمد المذكور، وسمع منه غير ذلك جميع مشيخته التي خرجها الظاهري، وكتاب الشائل للترمذي، وسمع منه غير ذلك.

ولا زال يحدث حتى توفي يوم الأربعاء ثاني شهر ربيع الآخر سنة تسعين وستائة،

بجبل قاسيون ، ودفن من يومه بسفحه ، بظاهر دمشق ، عند قبر والده ، رحمه الله تعالى .

وأما شيخنا صلاح الدين رحمه الله تعالى : فهو الشيخ الصالح الصدوق الدين الخيزر ، المسند ، رحلة الآفاق ، ومسند الدنيا على الإطلاق ، أبو عبد الله ، ويقال أبو عمر ، محمد ، بن الشيخ العالم الصالح الأصيل تقي الدين أبي العباس أحمد ، بن الشيخ العالم عز الدين أبي إسحق إبراهيم ، بن الشيخ الجليل الصالح شرف الدين أبي محمد عبد الله . بن شيخ الإسلام أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة بن نصر الله المقدسي الحنبلي .

فإنه ولد في سنة ثلاث وثمانين وستمائة وربما كتب سنة أربع ، وهو غلط ، واعتني به من الصغر ، فأسموه الكثير من الشيخ نضر الدين بن البخاري ، وسمع أيضاً من الشيخ تقي الدين إبراهيم بن فضل الواسطي ، وأخيه محمد ، وشمس الدين محمد بن الكمال عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسي ، والشيخ تقي الدين أحمد بن مؤمن الصوري ، وعيسى بن أبي محمد التتاري ، والمزاعميل بن القراء وغيرهم ، وخرج له الشيخ صدر الدين سليمان الياسوني مشيخة عن شيوخ السماع ، قرأتها عليه ، وأجاز له النجم أبو الفتح يوسف بن المجاور ، وعبد الرحمن بن الزمن ، وزينب بنت مكي ، وزينب بنت العلم ، وغيرهم ، وحدث بأكثر مسوعاته .

وكان رحمه الله عبداً خاشعاً ناسكاً ، من بيت الرواية والعلم والصلاح ، حدث هو وأخوه وأبوه وجدّه وجدّ أبيه وجدّ جدّه ، رحمه الله تعالى ، سريع الدمعة إذا قرئ عليه الحديث ، حسن الإصغاء إلى السماع .

أمّ بمدرسة أبي جدّه أبي عمر بالسفح أكثر من ستين سنة ، وأسمع الحديث نحو خمسين سنة ، سمع منه الأئمة والحفاظ وغيرهم .

صحبتُه وترددتُ إليه من سنة سبعين وسبعمائة ، أسمع عليه الحديث ، فلم أترك شيئاً من مسموعاته فيما علمتُ إلا قرأته أو سمعته عليه ، وقرأتُ عليه أيضاً كثيراً من مروياته بالإجازة ، وانتقيتُ عليه أحاديث من المعجم الكبير للطبراني قراءتها عليه .

وكان أولاً عسراً في الإسماع ، ثم إنه صار متصدياً للإسماع ليلاً ونهاراً ، لا يردُّ من يقصده للسمع في وقت من الأوقات ، ومُنَّعَ بسمه وبعمره وعقله إلى أن توفي .

أخذتُ عنه المسند كاملاً بقراءتي وقراءة غيري في نحو سبع سنين ، وسببه أن نسخة أصل سماعه كانت بخط الحافظ الضياء رحمه الله تعالى ، فوجد بعضها ، وكان شيخنا الحافظ الكبير شمس الدين أبو بكر بن المحب يحررنا على سماع المسند منه ، ويقول : لا تشكُّوا في أنه سمعه كاملاً على ابن البخاري ، فبادروا إلى سماعه كاملاً ، فكنا نقرؤه من نسخة وقف الباذرائية ، لوضوحها ، وكان بعضُ المحدثين قد احتاط عليها ، ولا يعطي منها شيئاً إلا بعد تعب كثير ، فطالت المدة لذلك

وسمعه أيضاً كاملاً الشيخ صدر الدين سليمان الياسوفي ، والشيخ بدر الدين محمد بن مكتوم ، والشيخ شهاب الدين أحمد بن شيخنا عماد الدين بن الحسيني ، والشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ علاء الدين حجي ، والمحدث شمس الدين محمد بن محمود بن إسحق الحلبي ، والشيخ الإمام ناصر الدين محمد بن عشائر الحلبي ، والشيخ جمال الدين محمد بن ظهيرة المسكي ، وصاحبنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن ميمون البلوي الأندلسي ، والفقهاء الفاضل شمس الدين محمد بن عثمان بن سعد بن السقا المالكي وغيرهم .

وسمع بعضه عليه جماعة كثيرون .

ولم يظهر سماعه بالجلد الثاني من مسند أبي هريرة ، ولا بمسند عبد الله بن عمرو بن العاص ، وفي آخره مسند أبي رزمة نحو ثلاثة أوراق ، ولا بمسند الكوفيين ، ومسند ابن مسعود ، ومسند ابن عمر ، ومسند الشاميين ، ومسند الكيين ، والمدنيين ،

لعدم وقوفنا على ذلك من نسخة الحافظ الضياء ، فكنا نقرأ عليه ذلك إجازة ،
إن لم يكن سماعاً .

فظهر قبل موته مجلدان من ذلك بخط الحافظ الضياء ، وفيهما أصل سماعه ،
فقال لنا الحافظ ابنُ المحب : ألم أقل لكم إنه سمع جميع المسند ؟ !

ثم بعد وفاة الشيخ صلاح الدين ظهر تنمة المسند بخط الحافظ الضياء ،
وظهر سماعه ، فسرّ طلبة الحديث بذلك ، فقلنا لشيخنا الحافظ أبي بكر بن المحب :
هل في الإخبار نقول « إجازة إن لم يكن سماعاً ثم ظهر سماعه » ؟ فقال : لا يحتاج ،
هكذا وقع في سنن ابن ماجة لأبي زرعة طاهر بن الحافظ أبي طاهر محمد المقدسي ، فأفتى
المعتبرون من الحفاظ أنه لا يحتاج .

ومن العجب أن مثل هذا الشيخ يروي مثل المسند الجليل ، الذي لم يكن على
وجه الأرض حديث أعلى منه ، ولم يكن في همة حكام الزمان ولا رؤسائهم أن يجمعوا
على إسماعه جماعة من الشباب والصبيان والصغار ، لينتفع الناس به كما انتفع من قبلهم
بن مضي ، حتى وصل إلينا بهذا العلو ، ولكن قصرت الهمم ، وتغيرت الأحوال ،
وقرب الزمان ، فلذلك لا أعلم بوجه الأرض من يروي هذا المسند العظيم ، عن هذا
الشيخ الجليل غيري ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وإني إن سموت ببعض علم وإن قالوا : فلان حاز فضلاً
وإن علّيتُ إسناداً فقولوا : لعمر أبيك ما نسب المعلّي

توفي شيخنا صلاح الدين الإمام المذكور يوم السبت رابع عشر شوال سنة
ثمانين وسبعمائة بمزله ، بدير الحنابلة بالسفح ، ودفن يوم الأحد بروضة جده الشيخ
أبي عمر من سفح قاسيون ، ونزل الحديث بموته درجة .

ومن طرف الحديث ، وظرف أهل التحديث ، ما ذكرته في كتابي (البداية في علوم الرواية) في نوع السابق واللاحق ، أن الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري روى عن ابن البخاري ، وذكره في معجم شيوخه ، وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة ، وروى عن ابن البخاري شيخنا صلاح الدين المذكور ، وتوفي سنة ثمانين وسبعائة ، وبين وفاتيهما مائة وأربع وعشرون سنة .

وأشيد للمصنف رحمه تعالى لنفسه في التاريخ المذكور :

حديثُ النبيُّ المصطفى خيرُ مسندٍ	وسنتهُ الغراءُ أرفعُ مسندٍ
فطوبى لمن أضحى الحديثُ شعارَه	وبُشرى لمن أمسى بالآخيارِ يقتدي
ويا فوزاً من بات النبيُّ سميرَه	ومن نوره في ظلمة الجبلِ يهتدي
ويا سعداً من كان الصحابةُ حوله	بروح عليهم بالحديثِ ويقتدي
وإن كتابَ السندِ البحرُ للرضى	فتى حنبلٍ للدينِ آيةُ مُسندٍ
حوى من حديثِ المصطفى كلَّ جوهرٍ	وجمع فيه كلَّ درٍّ منضدٍ
فما من صحيحٍ كالبخاريِّ جامعاً	ولا مسندٍ يُلقَى كمسندِ أحمدٍ
إمامٌ هدى للناس أفضلُ مُقتدى	سديدٌ كبيرٌ للخلاقِ مُرشد
هو الصابرُ الأواه في محنٍ دَهَتْ	له المنَّةُ العظمى على كل مهتدي
ويكفيه مدحُ الشافعي وثناؤه	فسيحان من قد خصه بالتفردِ
لقد طاف في الأقطار شرقاً ومغرباً	وجاب القياقي قدّفاً بعد قدّفاً
فأشياخه فيه زهاء ثلاثة	مئين ، سوى ما لابنه فيه مستدٍ
ونحو ثمان من مئين صحابة	خواه كما حققتُ هذا بمسند

فأبرز هذا البحر من سبع مائة
نجاء إماماً حجة يُقتدى به
وأعلى حديث في الزمان مصحح
وإني بحول الله أرويه عالياً
ساعاً لبعض ثم بعض قراءة
عن ابن البخاري عن رواية حنبل
عن الحسن بن المذحبي أنقل عن أحمد
وذلك عبد الله بن حنبل
فيني وبين الشيخ سبعة أنفس
أجزت لكل السامعين وقارى
ومالي من نظم ونثر وكل ما
فيافارثاً هذا الكتاب وسامعاً
لتوقيفه أن كان في يوم ختمه
وحادي عشر الشهر ليلة مولد الله
عليه صلاة الله ثم سلامه
إلهي يا الله يا خير راحم
أنتنا من الغفران والعفو مؤلنا
وأبق لنا السلطان الأشرف واخفظن
ووقفه للخبرات وانصر جيوشه
وأصلح ولاية المسلمين جميعهم
إلهي وارحم كل من هو حاضر
أولماً أحاديثاً بغير تأود
إذا اختلفوا في سنة فيه اقتد
بمدل رضى عن مسند يعد مسند
تماماً، وفي الدنيا بذلك تفردي
على شيخني الخير الصلاح محمد
فمن هبة الله الرئيس المسود
ن حندان عن خبر إمام مسند
وذا عن أبيه شيخ الإسلام أحمد
عدول إذا ما رمتهم بتعدد
رواية ما أروي بغير تردد
جئت وما صنف في كل مقصد
ألا فاشكر الرحمن ربك واحد
بذا الحرم الزاكي الشريف الممجّد
بي فأشعّد يوم عيد ومولد
وآل له والصحب أفضل من هدي
وأعظم مأمول وأكرم مسعّد
وبالخير فاختم يا إلهي وسعيدي
وسخر له ملك البلاد وخلد
وهنته بالملك الشريف وأيد
ووقفهم سبيل الرشاد وسدد
ومن غاب أيضاً فأعف [عنه] وأسعد

وما كَانَ من حاجاتنا فاقضه لنا وَحُطْنَا وَجُدْ وَانصِرْ وَسَلِّمْ وَأَيْدِ
وَقَدْ قَالَ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ مُحَمَّدٌ فَتَى الْجَزْري السَّائِلُ الْعَفْوُ فِي غَدِ

تم المصعد الأحمد بحمد الله وعونه وتوفيقه ، على يد معلقه لنفسه الفقير إلى الله تعالى الملي ، عبد المنعم بن علي بن مفلح الحنبلي ، عفا الله عنهم بمنه وكرمه ، في الرابع والعشرين من ذي القعدة الحرام ، من شهر سنة خمس وتسعين وثمان مائة ، أحسن الله تقضيها في خير وعافية ، بمحمد وآله ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً دائماً .

ثم في آخره ما نصه :

عن خط المصنف ما صورته :

الحمد لله وسلامه على عباده الذين اصطفى .

وبعد : فقد قرأ عليّ الشيخ الإمام العالم الحديث ، المخرج المفيد ، تقي الدين ، شرف الحديثين ، أوجد الناقلين ، أبو الفضل محمد بن محمد بن فيز الماشمي المسكي ، نفع الله بفوائده ، جميع مسند الإمام المعظم المبجل ، أزهد الأئمة ، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، رحمه الله تعالى ورضي عنه ، ومعه بقراءته جم غفير ، وخلق كثير ، منهم أولاده أبو بكر وعمر وأم هاني وأم البنين ، وحضراته عثمان من أول حديث حذيفة بن اليمان إلى آخر مسند الأنصار ، وجميع مسند أنس بن مالك الأنصاري ، وجميع مسند أبي هريرة ، ومسند عبد الله بن مسعود ، ومسند عبد الله بن عمر ، ومسند بني هاشم ، ومسند ابن عباس ، ومسند البصريين ، في آخر الثانية ، حسبما ضبطه أبوه له ، وأخبرني به ، صحّ في مجالس ، آخرها يوم الثالث عشر من

شهر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وثمان مئة بالمسجد الحرام ، وقد أجزتُ لهم رواية ذلك غني وجميع ما يجوز لي روايته بشرطه ، وكذلك لمن سمعه معهم ، أو بعضه ، أو حضره أو بعضه ، ويتلفظ بذلك ، إجازة مُعَيَّن لمُعَيَّن .

قاله وكتبه محمد بن محمد بن محمد بن الجزري ، عفا الله عنهم ، حامداً ومصلياً ، في التاريخ المذكور ، بالمسجد الحرام ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وسمع أيضاً هو وأولاده المذكورون جميع هذا الجزء المسمى : (المصعد الأحمد في ختم مسند أحمد) بقرائه ، وجميع القصيدة الدالية التي هي من نظمي ، بقراءة شهاب الدين يوسف بن الحسين الحَضَكفي ، المقرئ بالحرم الشريف ، وصح ذلك في التاريخ المذكور بالحرم الشريف ، وأجزتهم أجمعين ، كتبته محمد الجزري لطف الله به . انتهى صورة خط الحافظ العلامة ابن الجزري .

كلمة ابن الجوزي

بشأن المسند في صيد الخاطر ٢٨٥ — ٢٨٦

فصل : كان قد سألتني بعض أصحاب الحديث : هل في مسند أحمد ما ليس بصحيح ؟ قلت : نعم . فعظم ذلك على جماعة يُنسبون إلى المذهب ، فحملتُ أمرهم على أنهم عوام ، وأهملتُ فكر ذلك . وإذا بهم قد كتبوا فتاوى ، فكتب فيها جماعة من أهل خراسان ، منهم أبو العلاء الهمداني ، يعظمون هذا القول ، ويردونه ، ويقبحون قول من قاله ! فنبئتُ دهشاً متعجباً . وقلت في نفسي : وأعجباً ! صار المنتسبون إلى العلم عامة أيضاً ، وما ذاك إلا أنهم سمعوا الحديث ولم

يبحثوا عن صحيحه وسقيمه ، وظنوا أن من قال ما قلته قد تعرض للطعن فيما أخرجه أحمد . وليس كذلك ، فإن الإمام أحمد روى المشهور والجيد والردى ، ثم هو قد ردّ كثيراً مما روى ولم يقل به ، ولم يجعله مذهباً له . أليس هو القائل في حديث الوضوء بالنبيذ : مجهول ؟ ومن نظر في كتاب العلل الذي صنّفه أبو بكر الخلال رأى أحاديث كثيرة كلها في السند ، وقد طعن فيها أحمد . ونقلت من خط القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء في مسألة النبيذ ، قال : إنما روى أحمد في مسنده ما اشتهر ولم يقصد الصحيح ولا السقيم ، ويدل على ذلك أن عبد الله قال : قلت لأبي : ما تقول في حديث رُبْعِي بن حراش عن حذيفة ؟ قال : الذي يرويه عبد العزيز بن أبي رواد ؟ قلت : نعم ، قال : الأحاديث بخلافه ، قلت : فقد ذكرته في السند ؟ قال : قصدت في السند المشهور ، فلو أردت أن أقصد ما صح عندي لم أرو من هذا المسند إلا الشيء بعد الشيء . اليسير ، ولكنك يا بني تعرف طريقي في الحديث : لست أخالف ما ضعف من الحديث إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه .

قال القاضي : وقد أخبر عن نفسه كيف طريقه في السند . فمن جعله أصلاً للصحة فقد خالفه وترك مقصده .

قلت : قد غني في هذا الزمان^(١) أن العلماء لتقصيرهم في العلم صاروا كالعامّة ، وإذا مرّ بهم حديث موضوع قالوا : قد روي ! والبكاء ينبغي أن يكون على خسارة المم !!

ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

ترجمة الإمام أحمد بن حنبل

من كتاب (تاريخ الإسلام) للحافظ الذهبي ٦٧٣ - ٧٤٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حَيَّان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذُهَل بن ثعلبة بن عُكَّابة بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل . الإمام أبو عبد الله الشيباني هكذا نسبه ولده عبد الله ، واعتمده أبو بكر الخطيب وغيره .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا صالح بن أحمد قال : رجدتُ في كتاب أبي نسبه ، فساقه إلى مازن ، ثم قال : ابن هذيل بن شيبان بن ثعلبة بن عُكَّابة . قلت : قال فيه « هذيل بن شيبان » كما ترى ، وهو غلط .

وقال البَغُوي : حدثنا صالح بن أحمد ، فقال فيه « ذهل » بذل « هذيل » . وكذا قل إبراهيم بن إسحق الفسيل عن صالح . فذلّ على أن الوهم من ابن أبي حاتم .

وأما قول عباس الدوري وأبي بكر بن أبي دارد أن الإمام أحمد كان من بني ذُهَل بن شيبان ، فنلطمهما الخطيب ، وقال : إنما كان من بني شيبان بن ذُهَل بن ثعلبة ، قال : وذُهَل بن ثعلبة هو عم ذُهَل بن شيبان بن ثعلبة ، فينبغي أن يقال فيه « أحمد بن حنبل الذهلي » على الإطلاق ، وقد نسبه البخاري إليهما معاً ، فقال : الشيباني الذهلي .

وأما ابن ماكولا ، مع بصره بالأنساب ، فوهم وقال في سياق نسبه ، مازن بن ذهل بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة . ولم يتابع عليه .

وقال صالح بن أحمد : قال لي أبي : ولدت في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة . قال صالح : وجي . بأبي بجل من مرو ، فتوفي أبوه محمد شاباً ابن ثلاثين سنة ، فوليت أبي أمه ، وقال أبي : وكانت قد ثقت أذني ، فكانت أمي تصير فيهما لؤلؤتين ، فلما ترعرعت نزعتهما ، فكانتا عندها ، فدفعتهما إلي فبعتهما بنحو من ثلاثين درهماً .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل وأحمد بن أبي خيثمة : إنه ولد في ربيع الآخر .

وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : طلبت الحديث سنة تسع وسبعين ، وجاءنا رجل وأنا في مجلس هشيم : فقال : مات حماد بن زيد .

فمن شيوخه : هشيم ، وسفيان بن عيينة ، وإبراهيم بن سعد ، وجريز بن عبد الحميد ، ويحيى القطان ، والوليد بن مسلم ، وإسماعيل بن علية ، وعلي بن هاشم بن البريد ، ومعتز بن سليمان ، وعمار بن محمد بن أنس الثوري ، ويحيى بن سليم الطائفي ، وعُندَر ، وبشر بن الفضل ، وزباد البسكاني ، وأبو بكر بن عياش ، وأبو خالد الأحمر ، وعباد بن عباد المهلب ، وعباد بن العوام ، وعبد العزيز بن عبد الصمد العمي . وعمر بن عبيد الطنافسي ، والمطلب بن زياد ، ويحيى بن أبي زائدة ، والقاضي أبو يوسف ، ووكيع ، وابن نمير ، وعبد الرحمن بن هدي ، ويزيد بن هرون ، وعبد الرزاق ، والشافعي وخلق كثير .

ومن روى عنه : خ م د ، ومن بقي بواسطة ^(١) ، وإتباعه :

(١) رمز المؤلف لأصحاب الكتب الستة برموز المحدثين المعروفة . فهو يريد أن البخاري ومسلماً وأبا داود وروا عن أحمد مباشرة ، وأن الباقرين ، وهم الترمذي والنسائي وابن ماجه ، روى عنه بواسطة ، وأن البخاري وأبا داود روى عنه بواسطة أيضاً .

صالح^١، وعبد الله، وشيوخه : عبد الرزاق، والحسن بن موسى الأشيب، والشافعي^٢، لكنه قال « الثقة » ولم يستمه، وأقرأه : علي بن المديني، ويحيى بن معين، ودحيم الشامي، وأحمد بن أبي الحواري، وأحمد بن صالح المصري . ومن القدماء : محمد بن يحيى الذهلي، وأبو زرعة^(١)، وعباس الدوري، وأبو حاتم، وبق بن مخلد، وإبراهيم الحارثي، وأبو بكر الأثرم، وأبو بكر المروذي، وحرب الكرماني، وموسى بن هرون، ومطين، وخلق، آخرهم أبو القاسم البغوي .

وقال أبو جعفر بن ذريح العكبري : طلبت أحمد بن حنبل لأسأله عن مسألة، فسلمت عليه، وكان شيخاً مخضوباً طويلاً أسمر شديداً السمرة .

وقال الخطيب : ولد أبو عبد الله ببغداد، ونشأ بها، وطلب العلم بها، ثم رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة .

وقال أحمد : مات هشيم سنة ثلاث وثمانين، وخرجت إلى الكوفة في تلك الأيام، ودخلت البصرة سنة ست وثمانين، ثم دخلتها سنة تسعين، وسمعت من علي بن هاشم سنة تسع وسبعين^(٢)، ثم عدت إليه المجلس الآخر وقد مات، وهي السنة التي مات فيها مالك .

وقال : قدمنا مكة سنة سبع وثمانين وقد مات الفضيل، وفي سنة إحدى وتسعين، وفي سنة ست، وأقيمت بمكة سنة سبع، وخرجنا سنة ثمان، وأقيمت سنة تسع وتسعين عند عبد الرزاق، وحججت خمس حجج، منها ثلاث راجلاً، وأقيمت في إحدى

(١) هما : أبو زرعة الرازي الحافظ، واسمه عبيد الله بن عبد الكريم، وأبو زرعة الدمشقي، واسمه عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصراني .

(٢) في تاريخ بغداد ٤ : ٤١٦ زيادة : « في أول سنة طلبت الحديث » يعني أن أول طلبه الحديث كان سنة ١٧٩ مبع من علي بن هاشم .

هذه الحبح ثلاثين درهماً ، ولو كان عندي خمسون درهماً لخرجت إلى جرير بن عبد الحميد .

وقال : رأيت ابن وهب بمكة ، ولم أكتب عنه .

وقال محمد بن حاتم : ولي جدُّ الإمام أحمد بن حنبل سرَّخس ، وكان من أبناء الدعوة . فجدِّت أنه ضربه المسيب بن زهير الضبي ببخارى ^(١) ، لكونه شغب الجند . وعن عباس النحوي قال : رأيت أحمد بن حنبل حسن الوجه ربعة ينحضب بالحناء خضاباً ليس بالقاني ، وفي لحيته شعرات سود ، ورأيت ثيابه غلاظاً إلا أنها بيض ، ورأيتته معتملاً وعليه إزار .

وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : ذهبت لأسمع من ابن المبارك فلم أدركه ، وكان قد قدم فخرج إلى الثغر ، فلم أسمع منه ولا رأيته .

وقال عارم أبو النعمان : وضع أحمد عندي ثقتي ، فكان يحبي . فيأخذ منها حاجته ، فقلت له يوماً : يا أبا عبد الله ، بلغني أنك من العرب ؟ فقال : يا أبا النعمان ، نحن قوم مساكين ، فلم يزل يدافعني حتى خرج ، ولم يقل لي شيئاً .

وقال صالح : عزم أبي على الخروج إلى مكة ، ورافق يحيى بن معين ، فقال أبي : نخرج ونغضي إلى صنعاء ، إلى عبد الرزاق ، قال : فمضينا حتى دخلنا مكة ، فإذا عبد الرزاق في الطواف ، وكان يحيى يعرفه ، فطفنا ثم اجئنا إلى عبد الرزاق ، فسلم عليه يحيى ، وقال : هذا أخوك أحمد بن حنبل ، فقال : حيَّاه الله ، إنه ليبلُغني عنه كلُّ ما ^(٢) أُسرُّ به ، ثبتَّه الله على ذلك ، ثم قام لينصرف ، فقال يحيى : ألا تأخذ عليه الموعد ؟ فأبى أحمد ، وقال : لم أغَيِّر النِّيةَ في رحلتي إليه ؟ أو كما قال ، ثم سافر إلى اليمن لأجله ، وسمع منه الكتبَ وأكثَرَ عنه .

(١) رسمت في الأصل « ببخارا » .

(٢) رسمت في الأصل « كلما » .

فصل

في إقباله على العلم واشتغاله وحفظه

قال الخلال : أخبرنا المروزي أن أبا عبد الله قال له : ما تزوجتُ إلا بعد الأربعين .

وعن أحمد الدورقي عن أبي عبد الله قال : نحن كتبنا الحديث من ستة وجوه وسبعة وجوه ، لم نضبطه ، كيف يضبطه من كتبه من وجه واحد !!

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبا زرعة يقول : كان أبوك يحفظ ألف ألف حديث ، فقليل له : وما يدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب . وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : حفظت كل شيء سمعته من هشيم وهشيم حي .

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم قال سعيد بن عمرو البرذعي : يا أبا زرعة ، أنت أحفظ أم أحمد بن حنبل ؟ قال : بل أحمد ، قلت : وكيف علمت ؟ قال : وجدت كتبه ليس في أوائل الأجزاء ترجمة أسماء المحدثين الذين سمع منهم ، فكان يحفظ كل جزء بمن سمعه ، وأنا لا أقدر على هذا .

وعن أبي زرعة قال : حُزِرَتْ^(١) كتب أحمد يوم مات فبلغت اثني عشر حملاً وعدلاً ، ما كان على ظهر كتاب منها « حديث فلان » ولا في بطنه « حدثنا فلان » وكل ذلك كان يحفظ على ظهر قلبه .

وقال الحسن بن منه : سمعت أبا زرعة قال : أخرج إلي أبو عبد الله أجزاء

(١) في الأصل « حزر » .

كلها « سفيان » « سفيان » ، ليس على حديث منها حدثنا فلان ، فظننتها عن رجل واحد ، فاتتخبت منها ، فلما قرأ علي جعل يقول : حدثنا وكيع ويحيى حدثنا فلان ، فمجتبت من ذلك ، وجهدت أن أقدر على شيء من هذا ، فلم أقدر .

وقال المروزي : سمعت أبا عبد الله يقول : كنت إذا كر وكيعاً بمحدث الثوري ، وكان إذا صلى العشاء الآخرة خرج من المسجد إلى منزله ، فكنت إذا كره ، فربما ذكر تسعة ، عشرة ، أحاديث^(١) فأحفظها ، فإذا دخل قال لي أصحاب الحديث : أملّ علينا ، فأملها عليهم^(٢) .

وقال الخلال : حدثنا أبو إسماعيل الترمذي ، سمعت قتيبة بن سعيد يقول : كان وكيع إذا كانت العتمة ينصرف معه أحمد بن حنبل ، فيقف على الباب فيذاكره ، فأخذ وكيع ليلة بمضادتي الباب ، ثم قال : يا أبا عبد الله : أريد أن ألقى عليك حديث سفيان ، قال : هات ، قال : تحفظ عن سفيان عن سلمة بن كهيل كذا ؟ قال : نعم حدثنا يحيى ، فيقول : سلمة كذا وكذا ؟ فيقول : حدثنا عبد الرحمن ، فيقول : وعن سلمة كذا وكذا ؟ فيقول : أنت حدثتنا ، حتى يفرغ من سلمة ، ثم يقول أحمد : فتحفظ عن سلمة كذا وكذا ؟ فيقول وكيع : لا ، ثم يأخذ في حديث شيخ شيخ ، قال : فلم يزل قائماً حتى جاءت الجارية فقالت : قد طلع الكوكب ، أو قالت : الزهرة .

وقال عبد الله : قال لي أبي : خذ أيّ كتاب شئت من كتب وكيع ، فإن شئت أن تسألني عن الكلام حتى أخبرك الإسناد ، وإن شئت بالإسناد حتى أخبرك عن الكلام .

(١) يريد « تسعة أحاديث ، عشرة أحاديث » فساق العديدين مساق العدد ، فاختصر .

(٢) أملها عليهم : أملاها . يقال « أملاه » و « أملاه » على تحويل التضعيف . وفي

التنزيل (فليحمل وليه بالعدل) .

وقال الخلال : سمعت أبا القاسم بن الجبلي^(١) وكفاك به ، يقول : أكثر الناس يظنون أن أحمد إذا سئل كأن علم الدنيا بين عينيه .

وقال إبراهيم الحربي : رأيت أحمد كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين .
وعن أحمد بن سعيد الرازي قال : ما رأيت أسود الرأس أحفظ للحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أعلم بفقته ومعانيه من أحمد بن حنبل .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن ملة سمعت إسحق بن راهويه يقول : كنت أجالس بالعراق أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأصحابنا ، وكنا نتذاكر الحديث من طريقين وثلاثة ، فيقول يحيى من بينهم : وطريق كذا ، فأقول : أليس قد صح هذا بإجماع منا ؟ فيقولون : نعم . فأقول : ما تفسيره ؟ ما فقهه ؟ فيقولون كلهم إلا أحمد بن حنبل .

وقال الخلال : كان أحمد قد كتب كتب الرأي وحفظها ، ثم لم يلتفت إليها .
وقال أحمد بن سنان : ما رأيت يزيد بن هرون لأحد أشد تعظيماً منه لأحمد بن حنبل ، ولا رأيت أكرم أحداً مثله ، وكان يقعده إلى جنبه ويوقره ولا يمازحه .

وقال عبد الرزاق : ما رأيت أفقه من أحمد بن حنبل ولا أروع .
وقال إبراهيم بن شماس : سمعت وكيعاً يقول : ما قدم الكوفة مثل ذلك الفتي ، يعني أحمد ، وسمعت حفص بن غياث يقول ذلك .

وعن عبد الرحمن بن مهدي ، قال ما نظرت إلى أحمد بن حنبل إلا تذكرت به سفيان الثوري .

(١) بفتح الجيم وضم الباء الواحدة المشددة ، واسمه « إسحق بن إبراهيم » انظر المشتبه ٨٩ وتاريخ بغداد ٦ : ٢٧٨ ولسان اليران ٣٤٨ .

وقال القواريري : قال لي يحيى القطان : ما قدم عليّ مثلُ أحمد بن حنبل
ويحيى بن معين .

وقال أبو اليمان : كنت أشبه أحمد بن حنبل بأرطاة بن المنذر^(١)

وقال الهيثم بن جميل : إن عاش هذا الفتى سيكون حجة على أهل زمانه ،
يعني أحمد .

وقال قتيبة : خير أهل زماننا ابنُ المبارك ، ثم هذا الشاب ، يعني أحمد بن حنبل .

وقال أبو داود : سمعت قتيبة يقول : إذا رأيتَ الرجل يحبُّ أحمد فاعلم أنه
صاحب سنة .

وقال عبد الله بن أحمد بن شويه عن قتيبة : لو أدرك أحمدُ عصر الثوري
والأوزاعي ومالك والليث لكان هو المقدّم ، فقلت لقتيبة : تضم أحمد إلى التابعين ؟
فقال : إلى كبار التابعين . وسمعتُ قتيبة يقول : لولا الثوري لمات الورع ، ولولا أحمد
بن حنبل لأحدثوا في الدين .

وقال أحمد بن سلمة : سمعت قتيبة يقول : أحمد بن حنبل إمام الدنيا .

وقال العباس بن الوليد البيروتي : حدثنا الحرث بن عباس قال : قلت
لأبي مُسهر : هل تعرف أحداً يحفظ على هذه الأمة أمر دينها ؟ قال : لا أعلمه إلا
شاب في ناحية المشرق ، يعني أحمد بن حنبل .

قال المزني : قال لي الشافعي : رأيت ببغداد شاباً إذا قال « حدثنا »
قال الناس كلهم : صدق . قلت : من هو ؟ قال : أحمد بن حنبل .

وقال حرمة : سمعت الشافعي يقول : خرجت من بغداد فما خلفتُ بها
رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفه ولا أثق من أحمد بن حنبل .

(١) أرطاة بن المنذر بن الأسود الألهاني الحمصي : تابعي ثقة حافظ فقيه ، قال محمد
بن كثير . « ما رأيت أحداً أعبد ولا أزهد ولا أخوف عليه أبين منه » مات سنة ١٦٣ .

وقال الزعفراني : قال لي الشافعي : ما رأيت أعقل من أحمد بن حنبل وسليمان بن داود الهاشمي .

وقال محمد بن إسحق بن راهويته : سمعت أبي يقول : قال لي أحمد بن حنبل : تعال حتى أريك رجلاً لم تر مثله ، فذهب بي إلى الشافعي ، قال أبي : وما رأي الشافعي مثل أحمد بن حنبل ، ولولا أحمد وبذل نفسه لما بذلها له لذهب الإسلام .

وعن إسحق قال : أحمد حجة بين الله وبين خلقه .

وقال محمد بن عبدويه : سمعت علي بن المديني ، وذكر أحمد بن حنبل ، فقال : هو أفضل عندي من سعيد بن جبير في زمانه ، لأن سعيداً كان له نظراء ، وإن هذا ليس له نظير ، أو كما قال .

وقال علي بن المديني : إن الله أعز هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم التريّة ، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة .

وقال أبو عبيد : انتهى العلم إلى أربعة : أحمد بن حنبل ، وهو أقتهم . وذكر الحكاية .

وقال محمد بن نصر الفراء : سمعت أبا عبيد يقول : أحمد بن حنبل إمامنا ، إني لأتزين بذكره .

وقال أبو بكر الأثرم عن أبي عبيد . ما رأيت رجلاً أعلم بالسنة من أحمد . وقال أحمد بن الحسن الترمذي : سمعت الحسن بن الربيع يقول : ما شبت أحمد بن حنبل إلا بآبٍ المبارك في سمته وهيئته .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن الحسين الأنطاقي قال : كنا في مجلس فيه يحيى بن معين وأبو خيثمة وجماعة ، فجعلوا يثنون على أحمد بن حنبل ، فقال رجل :

لا تكثروا ، بعض هذا ! فقال يحيى بن معين : وكثرة الثناء على أحد تُستكثر !
لو جلسنا مجالسنا بالثناء عليه ما ذكرنا فضائله بكاملها .

وقال عباس عن ابن معين : ما رأيت مثل أحمد .

وقال أبو جعفر النعماني : ركان أحمد من أعلام الدين .

وقال المروزي : حضرت أبا ثور سئل عن مسألة ، فقال : قال أبو عبد الله
أحمد بن حنبل شيخنا وإمامنا فيها كذا وكذا .

وقال إبراهيم الحربي : قال ابن معين : ما رأيتُ أحداً يحدثُ الله إلا ثلاثة :
يعلى بن عبيد ، والقعنبي ، وأحمد بن حنبل .

وقال عباس الدوري : سمعت ابن معين يقول : أرادوا أن أكون مثل أحمد ،
والله لا أكون مثله أبداً .

وقال أبو خيثمة : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل ولا أشدَّ قلباً منه .

وقال علي بن خشرم : سمعت بشر بن الحرث وسئل عن أحمد بن حنبل ،
فقال : أنا أسأل عن أحمد ؟ ! إن أحمد أدخلَ الكبيرَ فخرج ذهباً أحمر . رواها
جماعة عن ابن خشرم .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : قال أصحاب بشر بن الحرث حين ضرب
أحمد في الخنعة : يا أبا نصر ، لو أنك خرجت فقلت إني على قول أحمد بن حنبل !
فقال بشر : أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء ! رُويت من وجهين عن بشر ، وزاد
أحدهما : قال بشر : حفظ الله أحمد من بين يديه ومن خلفه .

وقال القاسم بن محمد الصائغ سمعت المروزي يقول : دخلت على ذي النون
السجني ونحن بالعسكر ، فقال : أي شيء حال سيدنا ؟ يعني أحمد بن حنبل .

وقال إسحاق بن أحمد سمعت أبا زرعة يقول : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل
في فنون العلم ، وما قام أحد مثله ما قام أحمد به .

وقال ابن أبي حاتم : قالوا لأبي زرعة : فإسحق بن راهويه ؟ قال أحمد بن حنبل أكبر من إسحق وأفقّه ، قد رأيت الشيوخ ، فما رأيت أحداً أكل منه ، اجتمع فيه زهد وفضل وفقه وأشياء كثيرة .

وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن علي بن المديني ، وأحمد بن حنبل ، أيهما أحفظ ؟ فقال : كانا في الحفظ متقاربين ، وكان أحمد أفقه . وقال أبي : إذا رأيت الرجل يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سنة . وسمعت أبي يقول : رأيت قتيبة بمكة ، فقلت لأصحاب الحديث : كيف كفّلون عنه وقد رأيت أحمد بن حنبل في مجلسه ؟ فلما سمعوا هذا أخذوا نحوه وكتبوا عنه .

وقال محمد بن حماد الطهراني : سمعت أبا ثور يقول : أحمد بن حنبل أعلم بأفقّه من الثوري .

وقال محمد بن يحيى الذهلي : جمعت أحمد بن حنبل إماماً فيما بيني وبين الله . وقال نصر بن علي الجهضمي : كان أحمد أفضل أهل زمانه .

وقال عمرو الناقد : إذا وافقني أحمد على حديث لا أبالي من خالفني .

وقال محمد بن مهران الجبال وذَكَرَ له أحمد بن حنبل ، فقال : ما بقي غيره .

وقال الخلال : حدثنا صالح بن علي الحلبي سمعت أبا همام السكوني يقول : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل ولا رأي أحد مثله .

وقال محمد بن إسحق بن خزيمة : سمعت محمد بن سخطويه البرذعي يقول : سمعت أبا عمير عيسى بن محمد الرملي ، وذَكَرَ أحمد بن حنبل ، فقال : رحمه الله ، عن الدنيا ما كان أصبره وبالماضين ما كان أشبهه ، وبالصالحين ما كان الحقّه ، عرّضت له الدنيا فأبأها ، والبدعُ فنفاها .

وقال أبو حاتم الرازي : كان أبو عمير بن النحاس الرملي من عباد المسلمين ،

فقال لي : كتبت عن أحمد بن حنبل شيئاً ؟ قلت : نعم ، قال : فأئمل عليّ ، فأمليت عليه شيئاً .

وعن حجاج بن الشاعر قال : ما كنت أحب أن أقتل في سبيل الله ولم أصل على أحمد بن حنبل .

وعنه قال : قُبلت يوماً ما بين عيني أحمد بن حنبل ، وقلت : يا أبا عبد الله ، بلغت مبلغ سفيان ومالك ، ولم أظن في نفسي ألي بقيت غاية ، فبلغ والله في الإمامة أكثر من مبلغهما .

وعن حجاج بن الشاعر قال : ما رأيت عيناى روحاً في جسد أفضل من أحمد بن حنبل .

وعن محمد بن نصر المروزي قال : اجتمعت بأحمد بن حنبل وسألته عن مسائل ، وكان أكثر حديثاً من إسحق بن راهويه وأفقته منه .

وعن محمد بن إرميم البوشنجي قال : ما رأيت أجمع في كل شيء من أحمد بن حنبل ولا أعقل .

وقال محمد بن مسلم بن وارة : كان أحمد صاحب فقه ، وصاحب حفظ ، وصاحب معرفة .

وقال أبو عبد الرحمن النسائي : جمع أحمد بن حنبل المعرفة بالحديث والفقه ، والورع والزهد والصبر .

وقال خطّاب بن بشر عن عبد الوهاب بن الحكم الوراق : لما قال النبي صلى الله عليه « فرُدُّوه إلى عالمه » ردّدناه إلى أحمد بن حنبل ، وكان أعلم أهل زمانه .

وقال أبو داود : كانت مجالس أحمد مجالس الآخرة ، لا يُذكر فيها شيء من أمر الدنيا ، ما رأيته ذكر الدنيا قط .

وقال صالح جزرة : أفقه من أذكرت في الحديث أحمد بن حنبل .

وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه ، وذكر الشافعي عنده ، فقال : ما استفاد منا أكثر مما استفدنا منه . قال عبد الله : كل شيء ، في كتاب الشافعي « أخبرنا الثقة » فهو عن أبي .

وقال الخلال : حدثنا أبو بكر المروزي قال : قدم رجل من الزهاد ، فأدخلته على أبي عبد الله وعليه فرو خلق وحزينة على رأسه وهو حاف في برد شديد ، فسلم وقال : يا أبا عبد الله ، قد جئت من موضع بعيد ، وما أردت إلا السلام عليك ، وأريد عبادان ، وأريد أن أنا رجعت أن أمر بك وأسلم عليك ، فقال : إن قدر ، فقام الرجل وأبو عبد الله قاعد ، قال المروزي : ما رأيت أحدا قط قام من عند أبي عبد الله حتى يقوم أبو عبد الله إلا هذا الرجل ، فقال لي أبو عبد الله : ما ترى ، ما أشبهه بالأبدال ؟ أو قال : إني لأذكر به الأبدال ! فأخرج إليه أبو عبد الله أربعة أرغفة مشطورة بكامخ ، وقال : لو كان عندنا شيء لواسيناك .

قال الخلال : وأخبرنا المروزي : قلت لأبي عبد الله : ما أكثر الداعي لك قال : أخاف أن يكون هذا استدراجاً ، بأي شيء هذا ! وقلت لأبي عبد الله : إن رجلاً قدم من طرسوس فقال لي : إنا كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هذا الليل رفعوا أصواتهم بالدعاء : ادعوا لأبي عبد الله ، وكنا نمد النجنيق ونرمي عنه ، ولقد رمي عنه بحجر والعلاج على الحصن متقوس بدرقة ، فذهب برأسه وبالدرقة ، فتغير وجهه ، وقال : ليته لا يكون استدراجاً ، فقلت : كلا .

قال الخلال : وأخبرني أحمد بن حسين قال : سمعت رجلاً من خراسان يقول : عندنا أحمد بن حنبل يروون أنه لا يشبه البشر ، يظنون أنه من الملائكة . وقال لي رجل : نظرة عندنا من أحمد تعدل عبادة سنة .

قال الخلال : وقال المروزي : رأيت بعض النصارى الأطباء قد خرج من عند

أبي عبد الله ومعه راهب ، فسمعت الطيب يقول : إنه سألتني أن يجيء معي حتى ينظر إلى أبي عبد الله .

وقال المرؤذي : وأدخلتُ نصرانياً على أبي عبد الله يعالجه ، فقال : يا أبا عبد الله ، إني لأشتهي أن أراك منذ سنين ، ما بقاؤك صلاح الإسلام وحدهم ، بل للخلق جميعاً ، وليس من أصحابنا أحد إلا رضي بك . قال المرؤذي : فقلت لأبي عبد الله : إني لأرجو أن يكون يدعى لك في جميع الأمصار ، فقال : يا أبا بكر ، إذا عرّف الرجل نفسه فما ينفعه كلام الناس .

وقال عبد الله بن أحمد : خرج أبي إلى طرسوس ماشياً ، وحج حجتين أو ثلاثاً ماشياً ، وكان أصبر الناس على الوحدة ، وبشرّ فيما كان فيه لم يكن يصبر على الوحدة ، كان يخرج إلى ذا وإلى ذا .

وقال عباس الدوري : حدثني علي بن أبي فرارة جارتنا ، قال : كانت أمي مقعدةً من نحو عشرين سنة ، فقالت لي يوماً : اذهب إلى أحمد بن حنبل فسله أن يدعو لي ، فأتيتُ فدققت عليه وهو في دهليزه ، فلم يفتح لي ، وقال : من هذا ؟ قال : أنا رجل سألتني أمي وهي مقعدة أن أسألك أن تدعو الله لها ، فسمعت كلامه كلام رجل مُغْضَب ، فقال : نحن أحوج إلى أن تدعو الله لنا ، فولّيتُ منصرفاً ، فخرجت عجوزٌ فقالت : إني قد تركته يدعو لها ، فحُتّ إلى بيتنا دققتُ الباب ، فخرجت أمي على رجلها تمشي ، وقالت : قد وهب الله لي العافية . رواها ثقتان عن عباس .

وقال عبد الله بن أحمد : كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته ، فكان يصلي كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة . وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا علي بن الجهم قال : كان لنا جار فأخرج إلينا كتاباً ، فقال : أنصفون هذا الخط ؟ قلنا : هذا خط أحمد بن حنبل ، فكيف كتب

لك ؟ قال : كنا بمكة مقيمين عند سفيان بن عيينة ، فقصدنا أحمد أياماً ، ثم جئنا
لنسأل عنه ، فإذا البابُ مردود عليه وعليه خلعان ، فقلتُ : ما خبرُك ؟ قال : سُرقت
ثيابي ، فقلتُ له : معي دينار ، فإن شئتَ صلةً وإن شئتَ قرصاً ، فأبى ، فقلت :
تكتب لي بأجره ؟ قال : نعم ، فأخرجتُ ديناراً ، فقال : اشتر لي ثوباً واقطعه
نصفين ، يعني إزاراً ورداء ، وجئتُ ببقية الدينار ، ففعلتُ وجئتُ بورق ،
فكتب لي هذا .

وقال عبد الرزاق : عرضت على أحمد بن حنبل دينار فلم يأخذها .

وقال إسحق بن راهويه : كنت أنا وأحمد باليمن عند عبد الرزاق ، وكنت
أنا فوق الغرفة وهو أسفل ، وكنت إذا جئتُ إلى موضعٍ اشتريت جارية ، قال :
فاطلعتُ على أن نفقته فنيتُ ، فمرضتُ عليه فامتنع ، فقلت : إن شئتَ قرصاً ،
وإن شئتَ صلةً ، فأبى ، فنظرت فإذا هو ينسج التكب ويبيع وينفق . رواها
أبو إسماعيل الترمذي عنه .

وعن أبي إسماعيل قال : أتى رجل بعشرة آلاف درهم من ربح تجارتِهِ إلى
أحمد ؟ فأبى أن يقبلها .

وقال عبد الله عن أبيه قال : عرض عليّ يزيد بن هرون نحو خمسمائة درهم فلم
أقبلها . فقيل إن صديقاً وصل أحمد بخمسة دنانير فردها .

وقال صالح : دخلت على أبي أيامٍ الواثق ، واللهُ يعلم حالنا ، فإذا تحت
لبدته ورقة فيها : يا أبا عبد الله ، بلغني ما أنت فيه من الضيق ، وقد وجهتُ إليك
بأربعة آلاف درهم . فلما ردَّ أبي من صلاته قلت : ما هذا ؟ فأحمر وجهه ، فقال :
رفعتها منك ، ثم قال : تذهب بجوابه ، فكتب إلى الرجل : وصل كتابك ونحن في
عافية ، فأما الدينُ فلرجل لا يُرهمنا ، وأما العيال فهم في نعمة الله ، فذهبتُ

بالكتاب ، فلما كان بعد حين ورد كتاب الرجل بمثل ذلك ، فامتنع ، فلما مضى نحو سنة ذكرناها ، فقال : لو أنا قبلناها كانت قد ذهبت .

وقال جماعة : حدثنا سلمة بن شبيب قال : كنا في أيام المعتصم عند أحمد بن حنبل ، فدخل رجل فقال : من منكم أحمد بن حنبل ؟ فسكتنا ، فقال أحمد : هأنذا ، قال : جئت من أربعمائة فرسخ برّاً وبحراً ، كنت ليلة الجمعة نائماً فأثاني آتٍ فقال لي : تعرف أحمد بن حنبل ؟ قلت : لا ، قال : فأت بغداد وسل عنه ، فإذا رأيته قل : إن الخضر يقرئك السلام ويقول : إن ما كس السماء الذي على عرشه راض عنك ، والملائكة راضون عنك بما صفوت نفسك ^(١) .

فصل في آدابه

قال عبد الله بن أحمد : رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فيضعها على فمه يقبلها ، وأحسب أني رأيته يضعها على عينه ويغمسها في الماء ويشربه يستشفى به ، ورأيته قد أخذ قصعة النبي صلى الله عليه وسلم فغسلها في جب الماء ثم شرب فيها ، ورأيته يشرب ماء زمزم يستشفى به ويمسح به يديه ووجهه .

وقال أحمد بن سعيد الدارمي : كتب إلى أحمد بن حنبل : لأبي جعفر أكرمه الله ، من أحمد بن حنبل .

وعن سعيد بن يعقوب قال : كتب أحمد : من أحمد بن محمد إلى سعيد بن يعقوب ، أما بعد ، فإن الدنيا داء ، والسلطان داء ، والعالم طيب ، فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلى نفسه فأحذره ، والسلام عليك .

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الذهبي : حدثني أبي قال : مضى عمي أبو إبراهيم أحمد بن سعد إلى أحمد بن حنبل فسلم عليه ، فلما رآه وثب قائماً وأكرمه .

(١) أي أخذت صفوتها . يقال « صفوت القدر » إذا أخذت صفوتها .

قال المروزي : قال لي أحمد : ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به ، حتى مرّ بي أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً ، فأعطيت الحجام ديناراً حين احتجمت .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عبد الله بن أبي عمر البكري قال : سمعت عبد الملك الميموني يقول : ما أعلم أني رأيت أحداً أنظف ثوباً ولا أشدّ تماهداً لنفسه في شاربته وشعر رأسه وشعر بدنه ، ولا أتقى ثوباً وشدةً بياض من أحمد بن حنبل .

وقال الخليل : أخبرني محمد بن الجنيد أن المروزي حدثهم قال : كان أبو عبد الله لا يدخل الحمام ، وكان إذا احتاج إلى النورة تنوّر في البيت ، وأصلحت له غير مرة النورة ، واشتريت له جلدأ ليده يدخل يده فيه ويتنوّر .

وقال حنبل : رأيت أبا عبد الله إذا أراد القيام قال لجلسائه : إذا شئتم .

وقال المروزي : رأيت أبا عبد الله قد ألقى لختان درهمين في الطست .

وقال موسى بن هرون : سئل أحمد بن حنبل فقبل له : أين يطلب البدلاء؟^(١) فسكت حتى ظننا أنه لا يجيب ، ثم قال : إن لم يكن من أصحاب الحديث فلا أدري .
وقال المروزي : كان الإمام أحمد إذا ذكر الموت خنقته القبرة ، وكان يقول : الخوف يمنعني أكل الطعام والشراب .

وقال : إذا ذكر الموت هان علي كل شيء من أمر الدنيا ، وإنما هو طعام دون طعام ، ولباس دون لباس ، وإنها أيام قلائل ، ما أعدل بالفقر شيئاً .

وقال : لو وجدت السبيل لخرجت حتى لا يكون لي ذكر .

وقال : أريد أن أكون في بعض تلك الشعاب بمكة حتى لا أعرف ، قد بليت بالشهرة ، إني لأتمنى الموت صباحاً ومساءً .

(١) يريد الأبدال ، ولم أر هذا الجمع « البدلاء » في غير هذا الموضع

وقال المروذي : ذكر لأحد أن رجلاً يريد لقاءه ، فقال : أليس قد كره بعضهم اللقاء ، يتزين لي وأتزين له ؟ !

وقال : لقد استرحت ، ما جاءني الفرج إلا منذ حلفت أن لا أكذب ، وليتنا نترك ، الطريق ما كان عليه بشر بن الحرث .

وقال المروذي : قلت لأبي عبد الله : إن فلاناً قال لم يزهد أبو عبد الله في الدراهم وحدها ، قد زهد في الناس ، فقال : ومن أنا حتى أزهد في الناس ؟ الناس يريدون أن يزهدوا في .

وسمعت أبا عبد الله يكره للرجل أن ينام بعد العصر ، يخاف على عقله .

وسمعته يقول : لا يفتح من تعاطى الكلام ، ولا يخاو من أن يتجهم .

وسئل عن القراءة بالألحان ، فقال : هذه بدعة ، لا تسمع ، وكان قد قارب الثمانين ، رحمه الله .

فصل

في قوله في أصول الدين

قال أبو داود : سمعت أحمد بن حنبل يقول : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، البر كله من الإيمان ، والمعاصي تنقص من الإيمان .

وقال إسحاق بن إبراهيم البغوي : سمعت أحمد بن حنبل ، وسئل عن يقول القرآن مخلوق ؟ فقال : كافر .

وقال سلمة بن شبيب : سمعت أحمد يقول : من يقول القرآن مخلوق فهو كافر .

وقال أبو إسماعيل الترمذي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : من قال القرآن مخلوق فهو كافر .

وقال إسماعيل بن الحسن السراج : سألت أحمد عن يقول القرآن مخلوق ؟ فقال : كافر . وعن يقول لفظي بالقرآن مخلوق ؟ فقال : جهمي .

وقال صالح بن أحمد : تنامي إلى أبي أن أبا طالب يحكي أنه يقول لفظي بالقرآن غير مخلوق ، فأخبرت أبي بذلك ، فقال : من أخبرك ؟ قلت : فلان ، فقال : ابعت إلى أبي طالب ، فوجهت إليه ، فجاء وجاء فوران ، فقال له أبي : أنا قلت لفظي بالقرآن غير مخلوق ؟ ! وغضب ، وجعل يرعد ، فقال : قرأت عليك (قل هو الله أحد) فقلت لي ليس هذا بمخلوق ، فقال : فلم حكيت غيبي أني قلت لك لفظي بالقرآن غير مخلوق ؟ ! وبلغني أنك وضعت ذلك في كتاب وكتبت به إلى قوم ، فأنجحه ، واكتب إلى القوم أني لم أقله لك ، فجعل فوران يعتذر إليه ، وانصرف من عنده وهو مرعوب ، فعاد أبو طالب فذكر أنه قد كان حكى ذلك من كتابه ، وأنه كتب إلى القوم يخبرهم أنه وهم على أبي .

قلت : الذي استقر عليه قول أبي عبد الله أن من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ، ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع .

وقال أحمد بن زنجويه : سمعت أحمد بن حنبل يقول : اللفظية شر من الجهمية .

وقال صالح بن أحمد : سمعت أبي يقول : اختلفت الجهمية على ثلاث فرق : فرقة قالوا القرآن مخلوق ، وفرقة قالوا القرآن كلام الله تعالى وسكتوا ، وفرقة قالوا لفظنا بالقرآن مخلوق .

وقال أبي : لا يصلح خلف وإقني ولا خلف لفظي .

وقال المروزي : أخبرت أبا عبد الله أن أبا شعيب الشوسمي الذي كان بالرقعة فرّق بين ابنته وزوجها لما وقف في القرآن ، فقال : أحسن عافاه الله ، وجعل يدعو له . وقد كان أبو شعيب شاور النعماني فأمره أن يفرق بينهما .

قال المروزي : ولما أظهر يعقوب بن شعبة الوقف حذر أبو عبد الله عنه ، وأمر بهجرانه وهجران من كلمه .

قلت : ولأبي عبد الله في مسألة اللفظ نصوص متعددة .

وأول من أظهر اللفظ الحسين بن علي الكرايسي ، وذلك في سنة أربع وثلاثين ومائتين . وكان الكرايسي من كبار الفقهاء .

وقال المروزي في كتاب القصص : عزم حسن بن البزار وأبو نصر بن عبد الحميد وغيرها على أن يحيثوا بكتاب المدلسين الذي وضعه الكرايسي يطمعن فيه على الأعمش وسليمان التيمي ، فمضيت إليه في سنة أربع وثلاثين فقلت : إن كتابك يريد قوم أن يعرضوه على أبي عبد الله ، فأظهر أنك قد ندمت عليه ، فقال : إن أبا عبد الله رجل صالح ، مثله يؤفق لإصابة الحق ، قد رضيت أن يعرض عليه ، لقد سألتني أبو ثور : أن أمحوه ، فأبيت . فجيء بالكتاب إلى أبي عبد الله ، وهو لا يعلم لمن هو ، فعلموا على مستبشرات من الكتاب ، وموضع فيه وضع على الأعمش ، وفيه : إن زعمتم أن الحسن بن صالح كان يرى السيف فهذا ابن الزبير قد خرج . فقال أبو عبد الله : هذا أراد نصرته الحسن بن صالح فوضع على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقد جمع للروافض أحاديث في هذا الكتاب ، فقال أبو نصر : إن فتياننا يختلفون إلى صاحب هذا الكتاب ؟ فقال : حذروا عنه ، ثم انكشف أمره فبلغ الكرايسي ، فبلغني أنه قال : سمعت حسيناً الصائغ يقول : لأقولن بمقالة حتى يقول أحمد بن حنبل بخلافها فيكفر ، فقال : ^(١) لفظي بالقرآن مخلوق ، فقلت لأبي عبد الله : إن الكرايسي قال لفظي بالقرآن مخلوق ، وقال أيضاً : أقول إن القرآن كلام الله غير مخلوق من كل الجهات إلا أن لفظي بالقرآن مخلوق ، ومن لم يقل إن لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر ، فقال

(١) بهامش الأصل « يعني الكرايسي »

أبو عبد الله : بل هو الكافر ، قاتله الله ، وأي شيء قالت الجهمية ؟ إلا هذا ؟ قالوا : كلام الله ، ثم قالوا : مخلوق ، وما ينفعه وقد نقض كلامه الأخير كلامه الأول حين قال لفظي بالقرآن مخلوق ؟ ثم قال أحمد : ما كان الله ليدعاه وهو يقصد إلى التايين ، مثل سليمان الأعشى وغيره ، يتكلم فيهم ، مات بشر للرئيس وخلفه حسين الكرايسي ، ثم قال : أيش خبر أبي ثور ؟ وافقه على هذا ؟ قلت : قد هجره ، قال : قد أحسن ، قلت : إني سألت أبا ثور عن قال لفظي بالقرآن مخلوق ؟ فقال : مبتدع ، ففضب أبو عبد الله ، وقال : أيش مبتدع ؟ ! هذا كلام جهل بعينه ، ليس يفلح أصحاب الكلام .

وقال عبد الله بن أحمد : سئل أبي وأنا أسمع عن اللفظية والواقعية ؟ فقال : من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي .

فقال الحكم بن معبد : حدثني أحمد أبو عبد الله الدؤوري قال : قلت لأحمد بن حنبل : ما تقول في هؤلاء الذين يقولون لفظي بالقرآن مخلوق ؟ فرأيت استوى واجتمع وقال : هذا شر من قول الجهمية ، من زعم هذا فقد زعم أن جبريل تكلم بمخلوق وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمخلوق !

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عبد الله بن محمد بن الفضل الأسدي سمعت أبا طالب أحمد بن موسى بن حميد قال : قلت لأحمد بن حنبل : قد جاءت جهمية رابعة ، فقال : ما هي ؟ قلت : قال إنسان من زعم أن في صدره القرآن فقد زعم أن في صدره من الإلهية شيء ! فقال : من قال هذا فقد قال مثل قول النصارى في عيسى أن كلمة الله فيه ! ما سمعت بمثل هذا قط ! قلت : أهذه الجهمية ؟ قال : أكبر من الجهمية ، ثم قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : يُبْزَع القرآن من صدوركم .

قلت : الملفوظ كلام الله ، وهو غير مخلوق ، والتلفظ مخلوق ، لأن التلفظ من كسب القارىء ، وهو الحركة والصوت وإخراج الحروف ، فإن ذلك مما أحدثه

القاري^١ ، ولم يحدث حروف القرآن ولا معانيه ، إنما أحدث نطقه به ، فاللفظ قدر مشترك بين هذا وهذا ، ولذلك لم يجوز الإمام أحمد « لفظي بالقرآن مخلوق » ولا « غير مخلوق » إذ كل واحد من الإطلاقين موهوم . والله أعلم .

وقال أبو بكر الخلال : أخبرني أحمد بن محمد بن مطر وزكريا بن يحيى أن أبا طالب حدثهم أنه قال لأبي عبد الله : جاءني كتاب من طرسوس أن سرياً السعطي قال : لما خلق الله الحروف سجدت إلا الألف فإنه قال لا أسجد حتى أومن ! فقال : هذا الكفر .

فرحم الله الإمام أحمد ، ما عنده في الدين بحبابة .

قال الخلال : أبانا محمد بن أبي هرون أن إسحق بن إبراهيم حدثهم قال : حضرت رجلاً سأل أبا عبد الله فقال : يا أبا عبد الله ، إجماع المسلمين على الإيمان بالقدر خيره وشره ؟ قال أبو عبد الله : نعم . قال : ولا تكفر أحداً بذنوب ؟ فقال أبو عبد الله : اسكت ، من ترك الصلاة فقد كفر ، ومن قال القرآن مخلوق فهو كافر .

وقال الخلال : أخبرني محمد بن سليمان الجوهري حدثنا عبدوس بن مالك المطار سمعت أحمد بن حنبل يقول : أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه الصحابة ، وترك البدع ، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء ، وترك المراء والجدال ، وليس في السنة قياس ، ولا يضرب لها الأمثال ، ولا تدرك بالعقول ، والقرآن كلام الله خير مخلوق ، وإنه من الله ليس بيائن منه ، وإياك ومناظرة من أحدث فيه ، ومن قال باللفظ وغيره ، ومن وقف فيه فقال لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق وإنما هو كلام الله فهو صاحب بدعة ، والإيمان بالرؤية يوم القيامة ، وأن النبي صلى الله عليه . رأى ربه ، فإنه مأثور عن رسول الله صلى الله عليه ، رواء قتادة والحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ، ورواه علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ، والحديث عندنا على ظاهره ، على ما جاء عن النبي صلى الله عليه ،

والكلام فيه بدعة ، ولكن تؤمن به على ما جاء على ظاهره ، وأن الله يكلم العباد يوم القيامة ليس بينهم وبينه ترجان .

قال حنبل ابن إسحق : قلت لأبي عبد الله : ما معنى قوله (وهو معكم) ، و (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) ؟ قال : عَلَّمَهُ عَلَيْهِ . وسمته يقول : ربنا تبارك وتعالى على العرش بلا حد ولا صفة .

قلت : معنى قوله بلا صفة ، أي بلا كيفية ولا وصف .

وقال أبو بكر المروزي : حدثني محمد بن إبراهيم القيسي قال : قلت لأحد بن حنبل : يحكى عن ابن المبارك أنه قيل له : كيف يعرف ربنا ؟ قال : في السماء على عرشه ، قال أحمد : هكذا هو عندنا .

وقال صالح بن أحمد بن حنبل : سمعت أبي يقول : من زعم أن أسماء الله مخلوقة فقد كفر .

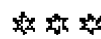
وقال عبد الله بن أحمد في كتاب الرد على الجهمية تأليفه : سألت أبي عن قوم يقولون لما كلم الله موسى لم يشكّم بصوت ؟ فقال أبي : بلى ، تكلم جل ثناؤه بصوت ، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت . وقال أبي : حديث ابن مسعود « إذا تكلم الله سُمع له صوت كمتل السلسلة على الصفوان » قال : وهذه الجهمية تنكره ، وهؤلاء كفار ، يريدون أن يوهوا على الناس ، ثم قال : حدثنا الحارثي عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله قال : إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء فيخرون سجداً .

وقال عبد الله : وجدت بخط أبي : مما يحتاج به على الجهمية من القرآن (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن) (إن الله يشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته) (وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته)^(١)

(١) قراءة حفص وبعض القراء « كلمة ربك » بالإفراد ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وغيرهما (كلمات ربك) بالجمع . انظر النشر ٢ : ٢٥٢ .

(يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) (الإله الخلق والأمر) (كل شيء هالك إلا وجهه) (ويبقى وجه ربك) (ولتصنع على عيني) (وكلم الله موسى تكليماً) (يا موسى إني أنا ربك) (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) (وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غُلَّتْ أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يدها مبسوطتان) .
قلت : وذكر آيات كثيرة في الصفات ، أنا تركت كتابتها هنا .

وقال يعقوب بن إسحق المطوعي : سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن التفضيل ؟ فقال : على حديث ابن عمر رضي الله عنهما : أبو بكر وعمر وعثمان .
وقال صالح بن أحمد : سئل أبي وأنا شاهد عن يقدم علياً على عثمان ، يُبدع ؟ فقال : هذا أهل أن يُبدع ، أصحاب رسول الله صلى الله عليه قدّموا عثمان .
وقال عبد الله بن أحمد : قلت لأبي من الرافضي ؟ قال : الذي يشتم رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يتعرض لهم ، ما أراه على الإسلام .
وقال أبو بكر المرؤذي : قيل لأبي عبد الله ونحن بالسكر وقد جاء بعض رسل الخليفة فقال : يا أبا عبد الله ، ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية ؟ فقال : ما أقول فيهم إلا الحسنی .



وكلام الإمام أحمد كثير طيب في أصول الديانة ، لا يتسع هذا الكتاب لسياقه ، قد جمعه الخلال في مصنف سماه (كتاب السنة عن أحمد بن حنبل) في ثلاث مجلدات .

فما فيه : أخبرنا المرؤذي سمعت أبا عبد الله يقول : من تعاطى الكلام لا يفلح ، من تعاطى الكلام لم يخل من أن يشبههم .
وسمعت أبا عبد الله يقول : لست أتكلم إلا ما كان من كتاب أو سنة أو عن الصحابة والتابعين ، وأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود .

وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : من أحب الكلام لم يفلح ، لا يؤول أمرهم إلى خير . وسمعتة يقول : عليكم بالسنة والحديث ، وإياكم والخرص والجدال والمراء ، فإنه لا يفلح من أحب الكلام . وقال لي : لا تجالسهم ولا تكلم أحداً منهم . ثم قال : أدركنا الناس وما يعرفون هذا ، ويجانبون أهل الكلام . وسمعتة يقول : ما رأيت أحداً طلب الكلام واشتاهه فأفلح ، لأنه يخرج به إلى أمر عظيم ، لقد تكلموا يومئذ بكلام واحتجبوا بشيء فما يقوى قلبي ولا ينطلق لساني أن أحكيه .

قال الخلال : أخبرني محمد بن أبي هرون حدثنا أبو الحرث : سمعت أبا عبد الله يقول : قال أيوب : إذا تمرق أحدهم لم يعد .

وقال الخلال : أخبرنا أحمد بن أصرم المزني قال : حضرت أحمد بن حنبل قال له العباس الهمداني : إني ربما رددت عليهم ، قال أحمد : لا ينبغي الجدال . ودخل أحمد المسجد وصلى ، فلما انقضى قال : أنت عباس ؟ قال : نعم ، قال : اتق الله ، ولا ينبغي أن تنصب نفسك وتشهر بالكلام ولا بوضع الكتب ، لو كان هذا خيراً لتقدمنا فيه الصحابة ، ولم أرتبنا من هذه الكتب ، وهذه كلها بدعة . قال : مقبول منك يا أبا عبد الله ، أستغفر الله وأتوب إليه ، إني لست أطلبهم ولا أدق أبوابهم ، ولكن أسمعهم يتكلمون بالكلام وليس أحد يرد عليهم فأغتم ولا أصبر حتى أرد عليهم ، قال : إن جارك مسترشد فأرشد ، قالها مراراً .

قال الخلال : أخبرنا محمد بن أبي هرون ومحمد بن جعفر أن أبا الحرث حدثهم قال : سألت أبا عبد الله ، قلت : إن ههنا من يناظر الجهمية ويبين خطأهم ويدقق عليهم المسائل ، فما ترى ؟ قال : لست أرى الكلام في شيء من هذه الأهواء ، ولا أرى لأحد أن يناظرهم ، ليس قال معاوية بن قرة : الخصومات تحبط الأعمال ؟ والكلام ردي ، لا يدعو إلى خير ، تجنبوا أهل الجدال والكلام ، وعليك بالسنن وما كان عليه أهل العلم قبلكم ، فإنهم كانوا يكرهون الكلام والخرص مع أهل ...

البدع ، وإنما السلامة في ترك هذا ، لم تؤمر بالجدال والمصومات . وقال : إذا رأيتم
ن يجب الكلام فاحذروه .

قال ابن أبي داود : حدثنا موسى أبو عمران الأصبهاني سمعت أحمد بن حنبل
يقول : لا تجالس أصحاب الكلام وإن ذُبُّوا عن السنة .

وقال اليموني : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ما زال الكلام عند أهل
الخير مذموماً .

قلت : ذمُّ الكلام وتعلمه قد جاء من طرق كثيرة عن الإمام أحمد وغيره .

فصل من سيرته

قال الخلال : قلتُ لزُهير بن صالح بن أحمد : هل رأيت جدَّك ؟ قال : نعم ، مات
وقد دخلتُ في عشرينين . كنا ندخل إليه في كل يوم جمعة أنا وأخواتي ، وكان
بيننا وبينه باب ، وكان يكتب لكل واحد منا حبتين حبتين من فضة في رقعة إلى
قاميِّ يعامله ، فنأخذ منه الحبتين وتأخذ الأخوات ، وكان ربما مررتُ به وهو قاعد في
الشمس وظهره مكشوف وآثر الضرب في ظهره ، وكان لي أخ أصغر منِّي اسمه « علي »
فأراد أبي أن يحنَّته ، فأنخذ له طعاماً كثيراً ، ودعا قوماً ، فلما أراد أن يحنَّته وجَّه إليه
جدِّي فقال : إنه بلغني ما أحدثته لهذا الأمر ، وقد بلغني أنك أسرفت ، فأبدأ بالفقراء
والضعفاء فأطعمهم . فلما أن كان من الغد وحضر الحجامُ وحضر أهلنا ، فجاء جدِّي
حتى جلس في الموضع الذي فيه الصبي ، وأخرج صُريرةً فدفعها إلى الحجام ،
وصُريرةً دفعها إلى الصبي ، وقام فدخل منزله ، فنظر الحجام في الصريرة فإذا درهم
واحد ، وكنا قد رفعنا كثيراً مما افترش ، وكان الصبي على مصطبة مرفوعة على شيء
من الثياب الملونة ، فلم ينكر ذلك . وقدم علينا من خراسان أن خالة جدِّي ،
فتزل على أبي ، وكان يُسكنني بأبي أحمد ، فدخلت معه إلى جدِّي ، فجاءت الجارية

بطبقٍ خِلافٍ وعليه خبز وبقل وخل وملح، ثم جاءت بفضارة فوضعتها بين أيدينا، فيها مصلية فيها لحم وسلق كثير، فجعلنا نأكل وهو يأكل معنا، ويسأل أبا أحمد عن بقي من أهلهم بخراسان في خلال ما يأكل، فربما استمعهم الشيء على أبي أحمد فيكلمه جدي بالفارسية، ويضع القطعة اللحم بين يديه وبين يدي، ثم رفع الفضارة بيده فوضعها ناحية، ثم أخذ طبقاً إلى جنبه فوضعه بين أيدينا، فإذا تمر بري وجوز مكسر، وجمل يأكل، وفي خلال ذلك يناول أبا أحمد.

وقال عبد الملك الميموني : كثيراً ما كنت أسأل أبا عبد الله عن الشيء، فيقول : لبيك لبيك .

وعن الرُّوذِي قال : لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أبي عبد الله، كان مائلاً إليهم مقصراً عن أهل الدنيا، وكان فيه حلم، ولم يكن بالعجول، وكان كثير التواضع، تلوذ السكينة والوقار، إذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يسأل، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدّر، يعمد حيث انتهى به المجلس .

وقال الطبراني : حدثنا موسى بن هرون سمعت إسحق بن راهويه يقول : لما خرج أحمد بن حنبل إلى عبد الرزاق انقطعت به النفقة، فأكرى نفسه من حمّالين إلى أن جاء صنعاء، وعرض عليه أصحابه المواساة فلم يقبل .

قال الفقيه علي بن محمد عمر الرازي : سمعت أبا عمر غلام ثعلب سمعت أبا القاسم بن بشار الأنماطي المزني سمعت الشافعي يقول : رأيت بينداد ثلاث أهجوبات : رأيت بها نبطياً يقتل علي حتى كأنه عربي وكأني نبطي ! ورأيت أعرابياً يلحن حتى كأنه نبطي ! ورأيت شاباً وخطه الشيب فإذا قال حدثنا قال الناس كلهم : صدق . قال المزني : فسألته، فقال : الأول الزعفراني، والثاني أبو ثور الكلبي، وكان لحائناً، وأما الشاب فأحمد بن حنبل .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : رأيت أبي حرج على النمل أن يخرج النمل

من داره ، ثم رأيت النمل قد خرجن بعد ذلك ، نملًا سوداً ، فلم أرهم بعد ذلك ، رواها أحمد بن محمد اللنباني عنه .

قال أبو الفرج بن الجوزي : لما وقع الفرق سنة أربع وخمسين وخمسة غرقت كتبتي وسلم لي مجلد فيه ورقتان بخط الإمام أحمد .

ومن نهي أبي عبد الله عن الكلام : قال المروزي : أخبرت قبل موت أبي عبد الله بسنتين أن رجلاً كتب كتاباً إلى أبي عبد الله يشاوره في أن يضع كتاباً يشرح فيه الرد على أهل البدع ، فكتب إليه أبو عبد الله ، قال الخلال : وأخبرني علي بن عيسى أن حنبلاً حدثهم قال : كتب رجل إلى أبي عبد الله ، قال : وأخبرني محمد بن علي الوراق حدثنا صالح بن أحمد قال : كتب رجل إلى أبي يسأل عن مناظرة أهل الكلام والجلوس معهم ؟ فأملى عليّ أبي جواب كتابه :

أحسن الله عاقبتك ، الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ ، وإنما الأمر في التسليم والانتها إلى ما في كتاب الله ، لا تمد ذلك ، ولم يزل الناس يكرهون كل مُحدث ، من وضع كتاب وجلس مع مبتدع ليورد عليه بعض ما يُلبس عليه في دينه .

وقال المروزي : بلغني أن أبا عبد الله أنكر على وليد الكرايسي مناظرته لأهل البدع .

وقال المروزي : قلت لأبي عبد الله : قد جاؤوا بكلام فلانٍ ليعرض عليك ، وأعطيته الرقعة ، فكان فيها : والإيمان يزيد وينقص فهو مخلوق ، وإنما قلت إنه مخلوق على الحركة والفعل لا على القول ، فمن قال الإيمان مخلوق وأراد القول فهو كافر . فلما قرأها أحمد وانهى إلى قول « الحركة والفعل » غضب ورمى بها ، فقال :

هذا مثل قول الكرايسي ، إنما أراد الحركات مخلوقة ، إذا قال الإيمان مخلوق فأني شيء بقي ؟ ليس يفلح أصحاب الكلام .

قلت : إنما حط عليه أحمد بن حنبل لكونه خاض ودقق وقسم ، وفي هذا عبرة وزاجر ، والله أعلم . فقد زجر الإمام أحمد كما ترى في قصة الرقة التي في الإيمان ، وهي والله بحث صحيح وتقسيم مليح ، وبعد هذا فقد ذم من أطلق الخلق على الإيمان باعتبار قول العبد لا باعتبار مقوله ، لأن ذلك نوع من الكلام ، وهو كان يذم الكلام وأهله وإن أصابوا ، وينهى عن تدقيق النظر في أسماء الله وصفاته ، مع أن محمد بن نصر المروزي قد سمع إسحق بن راهويه يقول : خلق الله الإيمان والكفر والخير والشر .

فصل

في زوجاته وأولاده

قال زهير بن صالح بن أحمد : تزوج جدي بأم أبي عباسة بنت الفضل^(١) ، من العرب من الرض^(٢) ، لم يولد له منها غير أبي ، ثم مات .

قال المروزي سمعت أبا عبد الله يقول : أقامت معي ، أم صالح ثلاثين سنة فما اختلفت أنا وهي في كلمة .

وقال زهير : لما ماتت عباسة تزوج جدي بعدها امرأة من العرب يقال لها ريحانة ، فولدت له عبد الله وحده .

(١) في ابن الجوزي ٢٩٨ « عائشة » وذكر مصححه بالهامش أن في النسخة الأخرى في جميع المواضع « عباسة » فها هنا يرجح تلك النسخة الأخرى .

(٢) « الرض » بفتح الراء والباء : القضاء يكون حول المدن . فقلعه يريد من ضواحي بغداد .

وقال أبو بكر الخلال : حدثنا أحمد بن محمد بن خلف البرائي^(١) أخبرني أحمد بن عبثر قال : لما ماتت أم صالح قال أحمد لامرأة عندهم : اذهبي إلى فلانة ابنة عمي فاخطبها لي من نفسها ، قالت : فأتيتها فأجابته ، فلما رجعت إليه قال : كانت أختها تسمع كلامك ؟ قال : وكانت بين واحدة ، فقالت له : نعم ، قال : فاذهبي فاخطبي تلك التي بين واحدة ، فأتيتها فأجابته ، وهي أم عبد الله ابنه ، فأقام معها سبعا ، ثم قالت له : كيف رأيت يا ابن عمي ؟ أنكرت شيئا ؟ قال : لا ، إلا أن نعلك هذه تصير^(٢) .

فما تقدم وهم ، من أن أحمد رحمه الله تزوج بهذه بعد موت أم صالح ، وذلك لا يستقيم ، لأن عبد الله ولد لأحمد ولأحمد خمسون سنة غير أشهر ، وكان صالح أكبر من عبد الله بسنوات ، لأنه سمع من عفان وأبي الوليد ، وذكر أبو يعقوب الهروي وغيره أن صالحا ولد سنة ثلاث ومائتين ولأبيه إذ ذاك تسع وثلاثون سنة ، فضالحو أكبر من عبد الله بعشرين سنة . والله أعلم .

وقال الخلال : حدثني محمد بن العباس حدثنا محمد بن علي حدثني أبو بكر بن يحيى قال : قال أبو يوسف بن يحنان : لما أمرنا أبو عبد الله أن نشترى له الجارية مضيت أنا وفوران ، فتبعني أبو عبد الله ، فقال لي : يا أبا يوسف ويكون لها لحم .

قال زهير بن صالح : لما توفيت أم عبد الله اشترى « حُسن » فولدت منه زينب ثم الحسن والحسين توأما^(٣) ، وماتا بالقرب من ولادتهما ، ثم ولدت الحسن

(١) « البرائي » بفتح الباء والراء وبالثاء الثلاثة ، نسبة إلى « براء » وهو موضع ببغداد .

(٢) في ابن الجوزي ٢٩٩ أن هذه الزوجة اسمها « ريحانة » ولها أخ اسمه « محمد بن ريحان » .

(٣) قال ابن سيده : « يقال للذكر توأم ، وللأنثى توأمة ، فإذا جمعوها قالوا : هما توأمان ، وهما توأم » .

ومحداً ، فمأشائهم ، حتى صاروا من السن إلى نحو من الأربعين سنةً ، ثم ولدت ،
بمدهما سعيداً .

قال الخلال : وحدثنا محمد بن علي بن بحر سمعت حُسنَ أمِّ ولد أبي عبد الله
تقول : قلت لمولاي : يا مولاي ، أصرف فرد خلخالتي ؟ قال : وتطيب نفسك ؟
قلت : نعم ، قال : الحمد لله الذي وفقك لهذا ، قالت : فأعطيت أبا الحسن بن صالح
قباعه بثمانية دنانير ونصف ، وفرقها وقت حملي ، فلما ولدت حسناً أعطى مولائي كرامة
درهماً ، وهي امرأة كبيرة كانت تخدمهم ، وقال لها : اذهبي إلى ابن شجاع القصاب
يشترى لك بهذا رأساً ، فاشترى لنا رأساً وجاءت به ، فأكلنا ، فقال لي يا حسن ،
ما أملك غير هذا الدرهم ، ومالك عندي غير هذا اليوم ، قالت : وكان إذا لم يكن
عند مولاي شيء فرح يومه ذلك ، فدخل يوماً فقال لي : أريد أن أحتجم اليوم ،
وليس معه شيء ، فجئت إلى جرة لي فيها غزل فبعته بأربعة دراهم ، فاشتريت
لحماً بنصف درهم ، وأعطى الحجام درهماً ، واشتريت طيباً بدرهم ، ولما خرج
إلى سرٍّ من رأى كنت قد غزلت غزلاً لبناً وعملت ثوباً حسناً ، فلما قدم أخرجه
إليه ، قال : ما أريده ، فدفعته إلى قوران قباعه باثنين وأربعين درهماً ، واشتريت
منه قطناً فغزلته ثوباً كبيراً ، فلما أعلنته قال : لا تقطعيه ، دعيه ، فكان كفته ،
كفن فيه ، وأخرجت الغليظ فقطعه .

وعن أحمد بن جعفر بن النادي : أن أبا عبد الله اشترى جارية بثمان يسير ،
سمها ربحانة ، لينسرى بها .

لم يتابع ابن النادي على هذا .

قال حنبل : ولد سعيد قبل موت أحمد بنحو من خمسين يوماً .

وقال بعض الناس : ولي سعيد قضاء الكوفة ، ومات سنة ثلاث وثلاثمائة .

وهذا لا يصح ، فإن سعيداً ولد قبل موت أبيه ، ومات قبل موت أخيه
عبد الله بدهر ، لأن إبراهيم الحربيّ عزى عبد الله بأخيه سعيد .

وأما الحسن ومحمد قال ابن الجوزي : فلم نعرف من أخبارهما شيئاً .

وأما زينب فكبرت وتزوجت .

وله بنت اسمها فاطمة ، إن صح ذلك .

ذكر المحنة

ما زال المسلمون على قانون السلف ، من أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه
وتنزيله غير مخلوق ، حتى نبغت المعتزلة والجهمية ، فقالوا بخلق القرآن ، متسترين
بذلك في دولة الرشيد .

فروى أحمد بن إبراهيم الدورقي عن محمد بن نوح : أن هرون الرشيد قال :
بلغني أن بشر بن غياث يقول : القرآن مخلوق ، لله عليّ إن أظفرتني به لأقتلنه . قال
الدورقي : وكان بشر متوارياً أيام الرشيد ، فلما مات ظهر بشر ودعا إلى الضلالة .

قلت : ثم إن المأمون نظر في الكلام ، وباحث المعتزلة ، وبقي يقدم رجلاً
ويؤخر أخرى في دعاء الناس إلى القول بخلق القرآن ، إلى أن قوي عزمه على ذلك
في السنة التي مات فيها ، كما سقناه .

قال صالح بن أحمد بن حنبل : سُحِلَ أبي ومحمد بن نوح مقيدَيْن ، فصرنا معهما
إلى الأنبار ، فسأل أبو بكر الأشولُ أبي ، فقال : يا أبا عبد الله : ، إن عُرِضَتْ على
السيف تحيب ؟ قال : لا . ثم سُيِّرَا ، فسبعت أبي يقول : صرنا إلى الرحبة ورحلنا
منها ، وذلك في جوف الليل ، فرض لنا رجل ، فقال : أيكم أحمد بن حنبل ؟
ف قيل له : هذا ، فقال للجمال : على رِسْلِكَ ، ثم قال : يا هذا ، ما عليك أن تُقتل

ههنا وتدخل الجنة ، ثم قال : أستودعك الله ، ومضى . قال أبي : فسألت عنه ، فقيل لي : هذا رجل من العرب من ربيعة ، يعمل الشعر في البادية ، يقال له جابر بن عامر ، يُذَكَّرُ بخير .

وروى أحمد بن أبي الخواري : حدثنا إبراهيم بن عبد الله قال : قال أحمد بن حنبل : ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة أعرابيٍ كلني بها في رَحبة طوق ، قال : يا أحمد إن يقتلك الحق مت شهيداً ، وإن عشت عشت حيداً ، فتوي قلبي .

قال صالح بن أحمد : قال أبي : صرنا إلى أذنة^(١) ، ورحلنا منها في جوف الليل ، وفتح لنا بابها ، فإذا رجل قد دخل ، فقال : البشري ! قد مات الرجل ، يعني المأمون ، قال أبي : وكنت أدعو الله أن لا أراه .

وقال محمد بن إبراهيم البوشنجي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : تبينتُ الإجابة في دعوتين : دعوتُ الله أن لا يجمع بيني وبين المأمون ، ودعوتُه أن لا أرى التوكل ، فلم أر المأمون ، مات بالبتدون^(٢) ، وهو نهر الروم ، وأحمد مجبوس بالرقعة ، حتى بويع المعتصم بالروم ، ورجع فردَّ أحمد إلى بغداد ، وأما التوكل فإنه لما أحضر أحمد دارَ الخلافة ليحدث ولده ، فعدله التوكل في خوخة ، حتى نظر إلى أحمد ولم يره أحمد .

قال صالح : لما صدر أبي ومحمد بن نوح إلى طرسوس رُدًّا في أقيادها ، فلما صارا إلى الرقة حُصلا في سفينة ، فلما وصلا إلى عانات توفي محمد ، فأطلق عنه قيده ، وصلى عليه أبي .

(١) أذنة ، بفتحات : بلد قرب المصيصة ، بنيت سنة ١٤٩ بأمر صالح بن علي بن عبد الله بن عباس .

(٢) البتدون ، بفتح الباء والذال المعجمة وسكون النون بعدها دال مهملة : في ياقوت أنها « قرية بينها وبين طرسوس يوم » من بلاد النعم ، مات بها المأمون فيقل إلى طرسوس . فلعلها سميت باسم نهر بجوارها .

وقال حنبل : قال أبو عبد الله : ما رأيت أحداً على لحداثة سنه وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح ، وإني لأرجو أن يكون قد خُتم له بخير ، قال لي ذات يوم : يا أبا عبد الله ، الله الله ، إنك لست مثلي ، إنك رجل مُقتدى بك ، قدسَت الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك ، فاتق الله واثبت لأمر الله ، أو نمحو هذا ، فمات وصليت عليه ودفنته ، أظنه قال : بعانة^(١) .

قال لي صالح : وصار أبي إلى بغداد مقيداً ، فكث بالياسرية أياماً ، ثم حبس في دارا كترت عند دار عمارة ، ثم نقل بعد ذلك إلى حبس العامة في درب اللوصلية ، فقال أبي : كنت أصلي بأهل السجن وأنا مقيد ، فلما كان في رمضان سنة تسع عشرة حوِّلتُ إلى دار إسحق بن إبراهيم .

وأما حنبل بن إسحق فقال : حبس أبو عبد الله في دار عمارة ببغداد في إصطبل لمحمد بن إبراهيم أخو إسحق بن إبراهيم ، وكان في حبس ضيق ، ومرض في رمضان ، فحبس في ذلك الحبس قليلاً ، ثم حوِّل إلى سجن العامة ، فكث في السجن نحواً من ثلاثين شهراً ، فكنا نأتيه ، وقرأ عليّ كتاب الإرجاء وغيره في الحبس ، فرأيتَه يصلي بأهل الحبس وعليه القيد ، فكان يخرج رجله من حلقة القيد وقت الصلاة والنوم .

رجعنا إلى ما حكاه صالح بن أحمد عن أبيه لما حوِّل إلى دار إسحق بن إبراهيم : فكان يوجّه إليّ كل يوم برجلين ، أحدهما يقال له أحمد بن رباح ، والآخر أبو شعيب الحجام ، فلا يزالان يناظراني ، حتى إذا أرادا الانصراف دُعِيَ بقيد فزيد في قيودي . قال : فصار في رجله أربعة أقياد . قال أبي : فلما كان في اليوم الثالث دخل عليّ أحد الرجلين فناظرني ، فقلت له : ما تقول في علم الله ؟ قال :

(١) عانة : سبق قبل أسطر تسميتها (عانات) في معجم البلدان : (عانة) بلد مشهور بين الرقة وهيت ، يعد في أعمال الجزيرة ، وجاء في الشعر عانات ، كأنه جمع بما حوله .

عَلَّمَ اللهُ مَخْلُوقَ ، فَقُلْتُ لَهُ : كَفَرْتُ^(١) ، فَقَالَ الرَّسُولُ الَّذِي كَانَ يَحْضُرُ مِنْ قَبْلِ
 إِسْحَقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ : إِنَّ هَذَا رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنْ هَذَا قَدْ كَفَرَ ، فَلِمَا
 كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الرَّابِعَةِ وَجَّهَ ، بِعَنِي الْمَعْتَصِمَ ، بُيْعًا الَّذِي كَانَ يُقَالُ لَهُ الْكَبِيرُ ، إِلَى إِسْحَقَ
 فَأَمَرَهُ بِحَمَلِي إِلَيْهِ ، فَأَدْخَلْتُ عَلَى إِسْحَقَ ، فَقَالَ : يَا أَحَدُ ، إِنَّهَا وَاللَّهِ نَفْسُكَ ، إِنَّهُ
 لَا يَقْتُلُكَ بِالسَّيْفِ ، إِنَّهُ قَدْ آلَى إِنْ لَمْ تَجِبْهُ أَنْ يَضْرِبَكَ ضَرْبًا بَعْدَ ضَرْبٍ ، وَأَنْ يَقْتُلَكَ
 فِي مَوْضِعٍ لَا تَرَى فِيهِ شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : (إِنَّا جَعَلْنَاهُ
 قُرْآنًا عَرَبِيًّا) أَفَيَكُونُ بِجَهْلٍ إِلَّا مَخْلُوقًا ؟ فَقُلْتُ : قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى (فَجَعَلْنَاهُمْ
 كَمَصْفٍ مَّا كُولٍ) أَفَخَلَقْتَهُمْ ؟ قَالَ : فَسَكَتَ ، فَلَمَّا صَرْنَا إِلَى الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِبَابِ
 الْبُسْتَانِ أُخْرِجْتُ ، وَجِيءَ بِدَابَّةٍ فَخُصِلْتُ عَلَيْهَا وَعَلِيَ الْأَقْيَادُ ، مَا مَعِيَ أَحَدٌ يُمْسِكُنِي ،
 فَكَلَدْتُ غَيْرَ مَرَّةٍ أَنْ أُخْرِجَ عَلَى وَجْهِي لِثَقَلِ الْقِيُودِ ، فَجِيءَ بِي إِلَى دَارِ الْمَعْتَصِمِ ،
 فَأَدْخَلْتُ حَجْرَةً وَأَدْخَلْتُ إِلَى بَيْتٍ ، وَأَقْفَلَ الْبَابَ عَلَيَّ ، وَذَلِكَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ،
 وَلَيْسَ فِي الْبَيْتِ سِرَاجٌ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُنْمِشَ لِلصَّلَاةِ ، فَدَدَدْتُ يَدَيَّ ، فَإِذَا أَنَا بِأَنَاءٍ
 فِيهِ مَاءٌ وَطَشْتُ مَوْضِعَ فَتَوَضَّأْتُ وَصَلَيْتُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّغْدِ أُخْرِجْتُ بِكَتْفِي
 مِنْ سِرَاوِيلِي وَشَدَدْتُ بِهَا الْأَقْيَادَ أَحْمَلَهَا ، وَعَطَفْتُ سِرَاوِيلِي ، فَجَاءَ رَسُولُ الْمَعْتَصِمِ
 فَقَالَ : أَجِبْ ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَدْخَلَنِي عَلَيْهِ وَالتَّكَّةَ فِي يَدَيَّ أَحْمَلُ بِهَا الْأَقْيَادَ ، وَإِذَا
 هُوَ جَالِسٌ وَابْنُ أَبِي دُوَّادٍ حَاضِرٌ ، وَقَدْ جَمَعَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ لِي ،
 بِعَنِي الْمَعْتَصِمَ : اذْنُهُ ، اذْنُهُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَدْنِينِي حَتَّى قَرَبْتُ مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ لِي : اجْلِسْ
 فَجَلَسْتُ ، وَقَدْ أَثْقَلَنِي الْأَقْيَادُ ، فَسَكَتُ قَلِيلًا ، ثُمَّ قُلْتُ : أُنَازِلُ لِي فِي الْكَلَامِ ؟
 فَقَالَ : تَكَلَّمْ ، فَقُلْتُ : إِلَى مَا دَعَا اللهُ وَرَسُولُهُ^(٢) ؟ فَسَكَتَ هَضْبَةً ، ثُمَّ قَالَ : إِلَى

(١) هُنَا بَهَامِشُ الْأَصْلِ مَا نَصَهُ : « إِنَّمَا كَفَرَهُ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ عِلْمُ اللهِ مَخْلُوقًا لَزِمَ أَنْ
 يَكُونَ فِي الْأَزْلِ بِغَيْرِ عِلْمٍ حَتَّى خَلَقَهُ . تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا » . وَهَذَا
 حَقٌّ بِدِيهِي مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ .

(٢) انْظُرْ لِإِبْنَاتِ أَلْفٍ « مَا » مَعَ حَرْفِ الْجَرِّ ، مَا قُلْنَاهُ فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ الْآتِي

شهادة أن لا إله إلا الله ، فقلت : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم قلت : إن جديك ابن عباس يقول : « لما قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله عن الإيمان ، فقال : أتدرون ما الإيمان ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تعطوا الخُمس من الغنم »^(١) ، قال : أبي قال ، يعني الملتصم : لولا أبي وجذتك في يد من كان قبلي ما عرضتُ لك .

ثم قال : يا عبد الرحمن بن إسحق ، ألم أمرُك برفع الهنة ؟! فقلت : الله أكبر ، إن في هذا لفرجاً للمسلمين ، ثم قال لهم : ناظروه ، كلوه ، يا عبد الرحمن كله ، فقال لي عبد الرحمن : ما تقول في القرآن ؟ قلت له : ما تقول في علم الله ؟ فسكت ، فقال لي بعضهم : أليس قال الله تعالى (الله خالق كل شيء) والقرآن أليس هو شيء ؟ قلت : قال الله تعالى (تدبرُ كل شيءٍ بأمر ربها) فدمرتُ إلا ما أراد الله ؟ فقال بعضهم (ما يأتيهم من ذكرٍ من ربهم محدث) أفيتكون محدثٌ إلا بخافاً ؟ قلت : قال الله : (ص . والقرآن ذي الذكر) فالذكر هو القرآن ، ويملك ! ليس فيها ألف ولا م . وذكر بعضهم حديث عمران بن حصين أن الله عز وجل خلق الذكر ، فقلت : هذا خطأ ، حدثنا غير واحد « إن الله كتب الذكر » . واحتجوا بحديث ابن مسعود « ما خلق الله من جنة ولا نار ولا سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي » . فقلت : إنما وقع الخلق على الجنة والنار والسماء والأرض ، ولم يقع على القرآن ، فقال بعضهم : حديث خباب « يا هنتام ، تقرب إلى الله بما استطعت ، فإنك لن تقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه » ، فقلت : هكذا هو .

قال صالح بن أحمد : فحمل أحمد بن أبي دؤاد ينظر إلى أبي كالمغضب ، قال أبي : وكان يتكلم هذا فأرد عليه ، ويتكلم هذا فأرد عليه ، فإذا انقطع الرجل منهم

اعترض ابن أبي دؤاد فيقول : يا أمير المؤمنين ، هو والله ضال مبتدع ! فيقول : كلوه ، ناظروه ، فيكلمني هذا فأرد عليه ، ويكلمني هذا فأرد عليه ، فإذا انقطعوا يقول لي المعتصم : ويحك يا أحمد ، ما تقول ؟ فأقول : يا أمير المؤمنين ، أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله حتى أقول به ، فيقول ابن أبي دؤاد : أنت لا تقول إلا ما في كتاب الله أو سنة رسول الله ؟ قلت له : كما تأولت تأويلات فانت أعلم ، وما تأولت ما يجبس عليه وما يُقيد عليه .

وقال حنبل : قال أبو عبد الله : ولقد احتجوا علي بشيء ما يقوى قلبي ولا ينطلق لساني أن أحكيه ، أنكروا الآثار ، وما ضمنتهم على هذا حتى سمعت مقالاتهم ، وجعلوا يدعون بقول الخصم وكذا وكذا ، فاحتججت عليهم بالقرآن ، بقوله (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً) فذم إبراهيم أباه أن عبداً ما لا يسمع ولا يبصر ، فهذا منكروكم ؟ ! فقالوا : شبه يا أمير المؤمنين ، شبه يا أمير المؤمنين !

وقال محمد بن إبراهيم البوشنجي : حدثني بعض أصحابنا أن ابن أبي دؤاد أقبل على أحمد يكلمه ، فلم يلتفت إليه ، حتى قال المعتصم : يا أحمد ، ألا تكلم أبا عبد الله ؟ فقال أحمد : لست أعرفه من أهل العلم فأكلمته !

وقال صالح بن أحمد : وجعل ابن أبي دؤاد يقول : يا أمير المؤمنين ، لئن أجابك لهو أحب إلي من مائة ألف دينار ومائة ألف دينار ، فبعد من ذلك ما شاء الله أن يمد ، فقال المعتصم : والله لئن أجابني لأطلقن عنه يدي ولأركبن إليه بجندي ولأطأن عقبه

ثم قال : يا أحمد ، والله إني عليك نسفيق ، وإني لأشفق عليك كشفقتي على هرون ابني ، ما تقول ؟ فأقول : أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله .

فلما طال المجلس ضجر وقال : قوموا ، وحبسني ، يعني غنده ، وعبد الرحمن

بن إسحق يكلمني ، فقال المعتصم : ويحك أجبنني ، فقال : ما أعرفك ! ألم تكن تأتينا ؟ فقال له عبد الرحمن بن إسحق : يا أمير المؤمنين ، أعرفه منذ ثلاثين سنة يرى طاعتك والجهاد والحج معك ، قال : فيقول : والله إنه لعالم ، وإنه لفقير ، وما يسوؤني أن يكون معي رد عن أهل الليل . ثم قال لي : ما كنت تعرف صالحاً الرشيدي ؟ قلت : قد سمعت باسمه ، قال : كان مؤدبي ، وكان في ذلك الموضع جالساً ، وأشار إلى ناحية من الدار ، فسألته عن القرآن ، فخالفني ، فأمرت به فوطئ ، وسحب !

ثم قال : يا أحمد ، أجبنني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك يدي ، قلت : أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله ، فطلال المجلس وقام ، ورُدَدت إلى الموضع الذي كنت فيه .

فلما كان بعد المغرب وجه إليّ رجلين من أصحاب ابن أبي دؤاد ، بيتان عندي ويناظراني ويقمان معي ، حتى إذا كان وقت الإفطار جيء بالطعام ، ويجتهدان بي أن أفطر فلا أفعل ، ووجه إليّ المعتصم ابن أبي دؤاد في بعض الليل ، فقال : يقول : لك أمير المؤمنين : ما تقول ؟ فأرد عليه نحواً مما كنت أرد ، فقال ابن أبي دؤاد : والله لقد كتب اسمك في السبعة ، يحيى بن معين وغيره ^(١) ، فحوته ، ولقد ساءني أخذهم إياك ، ثم يقول : إن أمير المؤمنين قد حلف أن يضربك ضرباً بعد ضرب ، وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس ، ويقول : إن أجابني جئت إليه حتى أطلق عنه يدي ، وانصرف .

فلما أصبح جاء رسوله ، فأخذ يدي حتى ذهب بي إليه ، فقال لهم : ناظروه وكلوه ، فجعلوا يناظرونني فأرد عليهم ، فإذا جاؤوا بشيء من الكلام مما ليس في

(١) قال ابن الجوزي ٣٣٤ : « قلت : السبعة . يحيى بن معين ، وأبو خيثمة ، وأحمد الدورقي ، والقواريري ، وسعدويه ، وسجادة ، وأحمد بن حنبل . وقيل : خلف المحزومي » .

الكتاب والسنة قلت : ما أدري ما هذا ؟ قال : يقولون : يا أمير المؤمنين ، إذا توجهت له الحجة علينا ثبت ، وإذا كلفناه بشيء يقول لأدري ما هذا ، فقال : ناظروه .

فقال رجل : يا أحمد أراك تذكر الحديث وتنتحلّه ، قلت : ما تقول في (بوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) ؟ قال : خص الله بها المؤمنين ، قلت : ما تقول إن كان قاتلاً أو عبداً ؟ فسكت ، وإنما احتججت عليهم بهذا لأنهم كانوا يحتجون بظاهر القرآن ، حيث قال لي أراك تنتحل الحديث احتججت بالقرآن ، يعني فلم يزالوا كذلك إلى قرب الزوال ، فلما ضجر قال لهم : قوموا ، وخلا بي وبعبد الرحمن بن إسحق ، فلم يزل يكلمني ، ثم قال أبي : فقام ودخل ، ورددت إلى الموضع .

قال : فلما كان في الليلة الثالثة قلت : خليك أن يحدث غداً من أمري شيء ، فقلت لبعض من كان معي ، الموكل بي : ارتد لي خيطاً ، فجاءني بخيط ، فشددت به الأقياد ورددت التكة إلى سراويلي ، مخافة أن يحدث من أمري شيء فأنصرمي ، فلما كان من الغد في اليوم الثالث وجه إلي ، فأدخلت ، فإذا الدار غامرة ، فجعلت أدخل من موضع إلى موضع ، وقوم معهم السيوف ، وقوم معهم السياط ، وغير ذلك ، ولم يكن في اليومين الماضيين كبير أحد من هؤلاء ، فلما انتهيت إليه ، قال : اقم ، ثم قال : ناظروه ، كلموه ، فجعلوا يناظرونني ، ويتكلم هذا فأرد عليه ، ويتكلم هذا فأرد عليه ، وجعل صوتي يعلو أصواتهم ، فجعل بعض من على رأسه قائم يرمي إلي بيده ، فلما طال المجلس نحاني ثم خلا بهم ، ثم يحام وردني إلى عنده ، فقال : ويحك يا أحمد ! أجبني حتى أطلق عنك يدي ، فرددت عليه نحواً مما كنت أرد ، فقال لي : عليك ، وذكر اللعن ، وقال : خذوه واسحبوه وخلعوه ، قال : فسحبت ثم خلعت .

قال : وقد كان صار إلي شعر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم في كم قبضي ،

فوجه إلى إسحق بن إبراهيم : ما هذا للصرور في كم قميصك ؟ قلت : شعر من شعر رسول الله صلى عليه ، قال : وسمي بعض القوم إلى القميص ليخرقه علي ، فقال لهم ، يعني المعتصم : لا تخرقوه ، فزرع القميص عني ، قال : فظننت أنه إنما دُرئ عن القميص الخرق بسبب الشعر الذي كان فيه ، قال : وجلس المعتصم على كرسي ، ثم قال : العقابين والسياط ! فجيء بالعقابين ، فمدت يداي ، فقال بعض من حضر خلقي : خذ ناي الخشبين بيدك وشد عليهما ، فلم أفهم ما قال ، فتخلعت يداي .

وقال محمد بن إبراهيم البوشنجي : ذكروا أن للمعتصم لائِن في أمر أحمد لما علق في العقابين ، ورأى ثبوته وتصميمه وصلابته في أمره ، حتى أغراه ابن أبي دؤاد ، فقال له : إن تركته قيل إنك تركت مذهب المأمون وسخطت قوله ، فهاجه ذلك على ضربه .

قال صالح : قال أبي : لما جيء بالسياط نظر إليها المعتصم وقال : اثموني بغيرها ، ثم قال للجلادين : تقدموا ، فجعل يتقدم إلى الرجل منهم فيضربني سوطين ، فيقول له : شد ، قطع الله يدك ! ثم يتنحى ويقوم الآخر فيضربني سوطين ، وهو يقول في كل ذلك : شد ، قطع الله يدك ! فلما ضربت تسعة عشر سوطاً قام إلي ، يعني المعتصم : وقال : يا أحمد ، علام تقتل نفسك ؟ إني والله عليك لشفيق ، قال : فجعل عجيف ينخسني بقائمة سيفه ، وقال : أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم ؟ وجعل بعضهم يقول : ويلك ، الخليفة على رأسك قائم ! وقال بعضهم : يا أمير المؤمنين ، دمه في عنقي ، اقتله ! وجعلوا يقولون : يا أمير المؤمنين ، أنت صائم ، وأنت في الشمس قائم ! فقال لي : ويحك يا أحمد ، ما تقول ؟ فأقول : أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه أقول به ، فرجع وجلس ، وقال للجلاد : تقدم وأوجع ، قطع الله يدك ! ثم قام الثانية ، فجعل يقول : ويحك يا أحمد ، أجنبي ،

فجعلوا يقولون علي ويقولون : يا أحمد ، إمامك على رأسك قائم ! وجعل عبد الرحمن يقول : من صنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع ؟ وجعل المعتصم يقول : ويحك ، أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك يدي ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أعطوني شيئاً من كتاب الله ، فيرجع ، وقال للجلادين : تقدموا ، فجعل الجلاد يتقدم ويفرض سوطين ويتنحى ، وهو في خلال ذلك يقول : شد ، قطع الله يدك ! قال أبي : فذهب عني ، فأقمت بعد ذلك فإذا الأقياد قد أطلقت عني ، فقال لي رجل ممن حضر : إنا كبناك على وجهك ، وطرحنا على ظهرك باربةً ودُشْنَاكَ ! قال أبي : فما شعرت بذلك ، وأتوني بسويق فقالوا لي : اشرب وتقياً ، فقلت : لا أفطر ، ثم جيئي إلى دار إسحق بن إبراهيم ، فحضرت صلاة الظهر ، فتقدم ابن سماعة فصلى ، فلما انقضى من الصلاة قال لي : صليت والدم يسيل في ثوبك ؟ فقلت : قد صلى عمر وجرحه ينقبُ دماً .

قال صالح : ثم خُلي عنه فصار إلى منزله ، وكان مكثه في السجن ، منذ أخذ وحمل إلى أن ضرب وخُلي عنه ، ثمانية وعشرين شهراً . ولقد أخبرني أحد الرجلين اللذين كانا معه ، قال : يا ابن أخي ، رحمة الله على أبي عبد الله ، والله ما رأيت أحداً يشبهه ، ولقد جعلت أقول له في وقت ما يُوجَّه إلينا بالطعام : يا أبا عبد الله ، أنت صائم ، وأنت في موضع تَقِيَّةٍ^(١) ، ولقد عطش فقال لصاحب الشراب : ناولني ،

(١) التقيّة إما يجوز للمستضعفين الذين يخشون أن لا يثبتوا على الحق ، والذين ليسوا بموضع القدوة للناس ، وهؤلاء يجوز لهم أن يأخذوا بالرخصة . أما أولو العزم من الأئمة الهداة ، فإنهم يأخذون بالمرعة ، ويحتملون الأذى ويثبتون ، وفي سبيل الله ما يلقون . ولو أنهم أخذوا بالتقيّة ، واستأغروا الرخصة لضل الناس من ورائهم ، يقتدون بهم ، ولا يعلمون أن هذه تقيّة . وقد أتى المسلمون من ضعف علمائهم في مواقف الحق ، لا يصدعون بما يؤمرون ، يحاملون في دينهم وفي الحق ، لا يحاملون الملوكة والحكام قط ، بل يحاملون كل من طلبوا منه نقماً ، أو خافوا ضرراً ، في الحقيير والجليل من أمر الدنيا . وكل أمر الدنيا حقير . فكان من ضعف المسلمين بضعف

فناولوه قدحاً فيه ماء وتلج ، فأخذه ونظر إليه هنيئاً ، ثم رده ولم يشرب ! فجعلت أعجب من صبره على الجوع والعطش ، وهو فيما هو فيه من الهول !
قال صالح : كنت ألتس وأحتال أن أوصول إليه طعاماً أو رغيماً في تلك الأيام ، فلم أقدر . وأخبرني رجل حضره : أنه تفقده في هذه الأيام الثلاثة وهم يناظرونه ، فما لحن في كلمة ، قال : وما ظننت أن أحداً يكون في مثل شجاعته وشدة قلبه .

وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : ذهب عقلي مراراً ، فكان إذا رُفِع عني الضربُ رجعتُ إليّ نفسي ، وإن استرخيتُ وسقطتُ رُفِع الضرب ، أصابني ذلك مراراً ، ورأيت ، يعني المعتصم ، قاعداً في الشمس بغير مظلة ، فسمعتة وقد أقفتُ يقول لابن أبي دؤاد : لقد ارتكبتُ في أمر هذا الرجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه والله كافر مشرك ، قد أشرك من غير وجه ! فلا يزال به حتى يصرفه عما يريد ، فقد كان أراد تخليتي بغير ضرب فلم يدعه ولا إسحق بن إبراهيم ، وعزم حينئذ على ضربي . قال حنبل : وبلغني أن المعتصم قال لابن أبي دؤاد بعد ما ضُرب أبو عبد الله : كم ضُرب ؟ فقال ابن أبي دؤاد : نيفاً وثلاثين ، أو أربعة وثلاثين سوطاً .

وقال أبو عبد الله : قال لي إنسان ممن كان كُتِّمَ : ألقينا على صدرك بارية وأكبناك على وجهك ودُشِنَاكَ .

قال أبو الفضل عبيد الله الزهري : قال المروزي : قلت وأحمد بين

علمائهم ما نرى . ولقد قال رجل من أئمة هذا العصر المهتدين ، فيما كتب إلى أبي رحمه الله ، من خطاب سياسي عظيم ، في جمادى الأولى سنة ١٣٣٧ ، قال : « كأن المسلمين لم يبلغهم من هداية كتابهم فيما ينشدهم من ظلمات الحوادث غير قوله تعالى (إلا أن تتقوا منهم ثقاة) ثم أصيبوا بجنون التأويل فيما سوى ذلك ، ولست أدري وقد فهموا منها ما فهموا ، كيف يقولون بوجوب الجهاد ، وهو إتلاف للنفس والمال ؟ وكيف يفهمون تعرضه صلى الله عليه وسلم لصنوف البلاء والإيذاء ؟ ولماذا يؤمنون بكرامة الشهداء والصابرين في البأساء والضراء على الله ؟ »

الهُنَّيَّارَيْنِ : يَا أَسْتَاذَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) قَالَ . يَا مَرْوُذِي ، اخْرُجْ أَنْظِرْ ، نَخْرُجُ إِلَى رَحْبَةِ دَارِ الْخُلَيفَةِ ، فَرَأَيْتَ خَلْقًا لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَالصَّحُفُ فِي أَيْدِيهِمْ وَالْأَقْلَامُ وَالْحَابِرُ ، فَقَالَ لَهُمُ الْمَرْوُذِي : أَيُّ شَيْءٍ تَعْمَلُونَ ؟ قَالُوا : نَنْتَظِرُ مَا يَقُولُ أَحْمَدُ فَتَكْتُبُهُ ، فَدَخَلَ إِلَى أَحْمَدَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ يَا مَرْوُذِي ، أَضِلْ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ ؟ !

قلت : هذه حكاية منقطعة لا تصح^(١) .

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ الْفَضْلِ الْأَسَدِيُّ قَالَ : لَمَّا حُجِّلَ أَحْمَدُ لِيُضْرَبَ ، جَاءُوا إِلَى بَشْرِ بْنِ الْحَرِثِ ، فَقَالُوا : قَدْ حُجِّلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، وَحُلَّتِ السَّيَاطُ ، وَقَدْ وَجِبَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ ، فَقَالَ : تَرِيدُونَ مِنِّي مَقَامَ الْأَنْبِيَاءِ ؟ ! لَيْسَ ذَا عِنْدِي ! حَفِظَ اللَّهُ أَحْمَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ! !

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَثْمَانَ الْفَسَوِيُّ : حَدَّثَنِي دَاوُدُ بْنُ عَرْفَةَ حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ الْأَصْبَغِ قَالَ : كُنْتُ بِيَهْدَادٍ ، فَسَمِعْتُ ضَجَّةً ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : أَحْمَدُ يُتَمَتَّحُنْ ، فَأَخَذْتُ مَالًا لَهُ خَطَرَ ، فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى مَنْ يَدْخُلُنِي إِلَى الْمَجْلِسِ ، فَأَدْخَلُونِي ، وَإِذَا بِالسَّيْفِ قَدْ جُرِدَتْ ، وَبِالرَّمَاكِ قَدْ رُكِرَتْ ، وَبِالْتَّرَاسِ^(٢) قَدْ صُفِّقَتْ ، وَبِالسَّيَاطِ قَدْ طُرِحَتْ ، فَأَلْبَسُونِي قَبَاءَ أَسْوَدَ وَمِنْطَقَةً وَسَيْفًا ، وَوَقَفُونِي حَيْثُ أَسْمَعُ الْكَلَامَ ، فَأَتَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيٍّ ، وَأَتَى بِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ،

(١) هَكَذَا قَالَ التَّهْمِي . وَنَقَلَهَا ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَيْضًا ٣٣٩ — ٣٣٠ ثُمَّ قَالَ : « هَذَا رَجُلٌ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى فَبَذَلَهَا ، كَمَا هَانَتْ عَلَى بِلَالٍ نَفْسُهُ : وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ : أَنَّهُ كَانَتْ نَفْسُهُ عَلَيْهِ فِي اللَّهِ تَعَالَى أَهْوَنَ مِنْ نَفْسِ ذِيَابٍ . وَإِنَّمَا تَهْوُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِمْ لِحُبِّهِمُ الْعَوَاقِبَ ، فَمَبْنُونَ الْبَصَائِرُ نَازِلَةً إِلَى الْمَالِ ، لَا إِلَى الْحَالِ . وَشِدَّةُ ابْتِلَاءِ أَحْمَدَ دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ دِينِهِ ، لِأَنَّهُ قَدْ صَحَّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : يَبْتَغِي لِلرَّءِ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ . فَسَبْحَانَ مَنْ أَيْدَاهُ وَبَصَرُهُ وَقَوَاهُ وَنَصَرُهُ »

(٢) « التَّرَاسُ » بِكَسْرِ التَّاءِ : جَمْعُ « تَرَسٍ » بِضَمِّهَا ، وَهُوَ الَّذِي يَتَوَقَّى بِهِ مِنَ السَّلَاحِ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ ، وَيَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى « أَتْرَاسٍ » وَ« تَرُوسٍ » .

فقال له : وقرآني من رسول الله لأضربنك بالسياط ، أو تقول كما أقول ^(١) ، نعم التفت إلى جلاد ، فقال : خذه إليك ، فأخذه ، فلما ضرب سوطاً قال : بسم الله ، فلما ضرب الثاني قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فلما ضرب الثالث قال : القرآن كلام الله غير مخلوق ، فلما ضرب الرابع قال : (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) ، فضربه تسعة وعشرين سوطاً ، وكانت تسكة أحد حاشية ثوب ، فانقطعت فنزل السراويل إلى عاتقه ، فقلت : الساعة ينهتك ، فرمى بطرفه إلى السماء وحرك شفتيه ، فما كان بأسرع من أن بقي السراويل لم ينزل ، فدخلت عليه بعد سبعة أيام ، فقلت : يا أبا عبد الله ، رأيتك وقد انحل سراويلك فرفعت رأسك أو طرفك نحو السماء ، فما قلت ؟ قال : قلت : اللهم إني أسألك باسمك الذي ملأت به العرش إن كنت تعلم أنني على الصواب فلا تهتك لي ستراً .

وقال جعفر بن أحمد بن فارس الأصبهاني : حدثنا أحمد بن أبي عبيد الله قال : قال أحمد بن الفرج : حضرت أحمد بن حنبل لما ضرب ، فتقدم أبو الحسن ، فضربه بضعة عشر سوطاً ، فأقبل الدم من أكتافه ، وكان عليه سراويل ، فانقطع خيطه فنزل السراويل ، فلحظته وقد حرك شفتيه ، فعاد السراويل كما كان ، فسألته عن ذلك ؟ فقال : قلت إلهي وسيدي ، وقفني هذا الموقف فتهتكني على رؤوس الخلائق

هذه حكاية لا تصح ، ولقد ساق فيها أبو نعيم الحافظ من الخرافات والكذب ما يستحي من ذكره .

وأضعف منها ما رواه أبو نعيم في الحلية : حدثنا الحسين بن محمد حدثنا إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القاضي حدثني أبو عبد الله الجوهري حدثني يوسف بن يعقوب سمعت علي بن محمد القرشي قال : لما قُدِّم أحمد ليضرب وجُرِدَ وبقي في سراويله ،

(١) هنا بهامش الأصل مانعه : « هذه الحكاية باطلة » . ولا أدري لماذا ؟

فبينما هو يضرب الحبل سراويله ، فجعل يحرك شفتيه بشيء ، فرأيت يدين خرجتا من تحته وهو يضرب ، فشدنا السراويل ، فلما فرغوا من الضرب قلنا له : ما كنت تقول ؟ قال : قلت : يا من لا يعلم العرش منه أين هو إلا هو ، إن كنت على حق فلا تُبد عورتني .

قلت : هذه مكذوبة ذكرتها للمعرفة ، ذكرها البيهقي وما جسر على تضعيفها ! ثم روى بعدها حكاية في الحنة عن أبي مسعود البجلي إجازة عن ابن جهم ، وهو كذوب ، عن النجار عن ابن أبي العوام الرياحي ، فيها من الركاكة والخلط ما لا يروج إلا على الجهال ، وفيها أن منزه اضطرب فحرك شفتيه ، فلما استتم الدعاء حتى رأيت كفاً من ذهب قد خرجت من تحت منزه بقدره الله ! فصاحت العامة .

وقال محمد بن أبي سمينة : سمعت شأبأ بن التائب يقول : لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطاً ، لو ضربته فيلاً لهدته .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي قال : قال إبراهيم بن الحرث العبّادي^(١) : قال أبو محمد الطائفي لأحمد : يا أبا عبد الله ، أخبرني عما صنعوا بك لما ضربت جاء ذاك الطويل اللحية ، يعني مُجَيْفَاً ، فضربني بقائم سيفه ، فقلت : جاء الفرج ، يضرب عنقي وأستريح ، فقال ابن سماعة : يا أمير المؤمنين ، اضرب عنقه ودمه في رقبتي ، قال ابن أبي دؤاد : لا يا أمير المؤمنين ، لا تفعل ، فإنه إن قتل أو مات في دارك قال الناس : صبر حتى قُتل ، فاتخذوه إماماً ، وثبتوا على ما هم عليه ، ولكن أطلقه الساعة ، فإن مات خارجاً عن منزلك شك الناس في أمره .

قال ابن أبي حاتم : وسمعت أبا زرعة يقول : دعا المعتصم بعيسى أحمد بن حنبل ،

(١) في ابن الجوزي ٣٣٩ : « من ولد عبادة بن الصامت » . وإبراهيم هذا من كبار أصحاب الإمام أحمد ، قال الحلال : « كان أبو عبد الله — يعني أحمد — يعظم قدره ويرفعه » . وهو من شيوخ أبي داود وأبي بكر الأثرم . له ترجمة في التهذيب ١ : ١١٣ .

ثم قال للناس : تعرفونه ؟ قالوا : نعم ، وهو أحمد بن حنبل ، قال : فانظروا إليه ،
أليس هو صحيح البدن ؟ قالوا : نعم . ولو لا أنه فعل ذلك لكنت أخاف أن يقع
شيء لا يقام له ، قال : فلما قال قد سلمته إليكم صحيح البدن ، هداً للناس وسكنوا .

قال صالح : صار أبي إلى المنزل ، ووجهه إليه من السحر من يُبصر الضربَ
والجراحات ويعالج منها ، فنظر إليه ، فقال لنا : والله لقد رأيتُ من ضرب ألف
سوطٍ ما رأيتُ ضرباً أشدَّ من هذا ، لقد جرَّ عليه من خلفه ومن قدامه ، ثم أدخل
مبلاً في بعض تلك الجراحات ، وقال : لم يَنْقُبْ ، فجعل يأتيه ويعالجه ، وكان قد
أصاب وجهه غير ضربة ، ثم مكث يعالجه إلى ما شاء الله ، ثم قال : إن ههنا شيئاً
أريد أن أقطعه ، فجاء بحديدة فجعل يُعَلِّق اللحم بها وَيَقْطَعُه بسكين ، وهو صابر
يحمد الله ، فبرأ ، ولم يزل يتوجع من مواضع منه ، وكان أثر الضرب يَبْئَثُ في ظهره
إلى أن توفي .

وسمعت أبي يقول : والله لقد أعطيتُ المجهودَ من نفسي ، ورددتُ أبي أنجو
من هذا الأمر كفافاً لا علي ولا لي .

ودخلت على أبي يوماً ، فقلت له : يلغني أن رجلاً جاء إلى فضل الأنطاقي
فقال له : اجعلني في حلٍّ إذ لم أقم بنصرتك ، فقال فضل : لا جعلتُ أحداً في
حلٍّ ، فتبسم أبي وسكت ، فلما كان بعد أيام قال : مررت بهذه الآية (فمن عفا
وأصلح فأجره على الله) فنظرت في تفسيرها فإذا هو ما حدثني أبو النصر حدثنا
ابن فضالة المبارك حدثني من سمع الحسن يقول : إذا جئت الأم بين يدي رب
المالين نودوا : ليقيم من أجره على الله ، فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا ، قال أبي :
فجعلت المتيقن في حلٍّ من ضربه إياي ، ثم جعل يقول : وما على رجل ألا يعذب
الله بسببه أحداً !

وقال حنبل بن إسحق : لما أمر المعتصم بتخلية أبي عبد الله خلع عليه مَبْطُنة

وقمصاً وطيلساناً وخفّاً وقلنسوة ، فبينما نحن على باب الدار والناس في الميدان والدروب وغيرها وأغلقت الأسواق ، إذ خرج أبو عبد الله على دابة من دار أبي إسحق المعتصم ، وعليه تلك الثياب ، وابن أبي دؤاد عن يمينه ، وإسحق بن إبراهيم ، يعني نائب بغداد ، عن يساره ، فلما صار في دهليز المعتصم قبل أن يخرج قال لهم ابن أبي دؤاد : اكشفوا رأسه ، فكشفوه ، يعني من الطيلسان فقط ، وذهبوا يأخذون به ناحية الميدان نحو طريق الحبس ، فقال لهم إسحق : خذوا به هنا ، يريد دجلة ، فذهب به إلى الزورق ، وحمل إلى دار إسحق فأقام عنده إلى أن صُلِّيت الظهر ، وبعث إلى أبي وإلى جيراننا ومشايخ الحال ، فجمعوا وأدخلوا عليه ، فقال لهم : هذا أحمد بن حنبل إن كان فيكم من يعرفه ، وإلا فليعرفه ، فقال ابن سماعة حين دخل للجماعة : هذا أحمد بن حنبل ، فإن أمير المؤمنين ناظر في أمره ، وقد خلى سبيله ، وها هو ذا ، فأخرج على دابة لإسحق بن إبراهيم عند غروب الشمس ، فصار إلى منزله ومعه السلطان والناس ، وهو منحنى ، فلما ذهب لينزل احتضنته ولم أعلم ، فوقعت يدي على موضع الضرب ، فصاح ، فنحيت يدي ، فنزل متوكئاً علي ، وأغلق الباب ، ودخلنا معه ، ورمى بنفسه على وجهه ، لا يقدر يتحرك إلا يجهد ، وخلع ما كان خلع عليه فأمر به فبيع ، وأخذ ثمنه فتصدق به .

وكان المعتصم أمر إسحق بن إبراهيم أن لا يقطع عنه خبره ، وذلك أنه نزل فيما حكى لنا عند الإياس منه ، وبلغنا أن المعتصم ندم وأسقط في يده حتى صلح ، فكان صاحب الخبر إسحق يأتينا كل يوم يتعرف خبره ، حتى صح ، وبقيت إبهاماه متغلعتين ، تضربان عليه في البرد ، حتى يُسخن له الماء ، ولما أردنا علاجه خضنا أن يدس ابن أبي دؤاد سماً إلى المعالج ، فعملنا الدواء والمرم في منزلنا .

وسمعه يقول : كل من ذكرني في حلٍ إلا مبتدع ، وقد جعلت أبا إسحق ، يعني المعتصم ، في حلٍ ، ورأيت الله تعالى يقول : (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون

أن يغفر الله لكم) ، وأمر النبي صلى الله عليه أبا بكر بالعمو في قصة مسطح ، قال أبو عبد الله : العفو أفضل ، وما ينفعك أن يعذب أخوك المسلم في سببك !

فصل في صحته من الواثق

قال حنبل : ولم يزل أبو عبد الله بعد أن برى من مرضه يحضر الجمعة والجماعة ، ويفتي ويحدث ، حتى مات المتصم وولي ابنه الواثق ، فأظهر ما أظهر من الحنة والميل إلى ابن أبي دؤاد وأصحابه ، فلما اشتد الأمر على أهل بغداد ، وأظهر القضاة الحنة ، وفرق بين فضل الأعاطي وامراته وبين أبي صالح وامراته ، كان أبو عبد الله يشهد الجمعة ويعيد الصلاة إذا رجع ، ويقول : الجمعة تؤتى لفضلها ، والصلاة تعاد خلف من قال بهذه المقالة ، وجاء نفر إلى أبي عبد الله وقالوا : هذا الأمر قد فشا وتفاقم ، ونحن نخافه على أكثر من هذا ، وذكروا أن ابن أبي دؤاد على أن يأمر المعلمين بتعليم الصبيان في الكتاب مع القرآن : القرآن كذا وكذا ، فنحن لا نرضى بإمارته ، فننعمهم من ذلك وناظرهم .

وحكى حنبل قصده في مناظرتهم وأمرهم بالصبر ، فبينما نحن في أيام الواثق إذ جاء يعقوب ليلاً برسالة إسحق بن إبراهيم إلى أبي عبد الله : يقول لك الأمير ، إن أمير المؤمنين قد ذكرتك ، فلا يجتمع إليك أحد ، ولا تسأكني بأرض ولا مدينة أنا فيها ، فاذهب حيث شئت من أرض الله . فاختفى أبو عبد الله بقية حياة الواثق ، وكانت تلك الفتنة وقتل أحمد بن نصر .

فلم يزل أبو عبد الله مختفياً في غير منزله في القرب ، ثم عاد إلى منزله بعد أشهر أو سنة لما طفي خبره ، ولم يزل في البيت مختفياً لا يخرج إلى الصلاة ولا غيرها حتى هلك الواثق .

وعن إبراهيم بن هاني قال : اختفى أحمد بن حنبل عندي ثلاثة أيام ، ثم قال : اطلب لي موضعاً ، قلت : لا آمن عليك ، قال : افعل ، فإذا فعلت أفدتك ، فطلبت له موضعاً ، فلما خرج قال لي : اختفى رسول الله صلى الله عليه في الغار ثلاثة أيام ثم تحول^(١) .

قلت : أنا أنسب من الحفاظ أبي القاسم^(٢) ، كيف لم يسق الحجة ولا شيئاً منها في تاريخ دمشق ، مع فرط استقصائه ، ومع صحة أسانيدها !! ولعل له نية في تركها^(٣) .

(١) زاد ابن الجوزي ٣٥٠ بقية كلام الإمام أحمد : « وليس ينبغي أن تتبع سنة رسول الله في الرخاء وترك في الشدة » . وهي حكمة بالغة من الإمام ، ليت الناس فهموها وعملوا بها .

(٢) يريد الحفاظ ابن عساكر ، مؤلف تاريخ دمشق .

(٣) ساق ابن الجوزي ٣٥٠ — ٣٥٢ وابن كثير ١٠ : ٣٢١ سبب ترك الوائق للسنحة ، المعنى واحد واللفظ لآين كثير ، قال : « وذكر عن محمد المهدي بن الوائق : أن شيخاً دخل يوماً على الوائق ، فسلم فلم يرد عليه الوائق ، بل قال : لاسلم الله عليك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، بشئ ما أدبك سعلك ، قال الله تعالى : (وإذا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِهَا أَوْ رَدُّوْهَا) فلا حييتني بأحسن منها ولا رددتها ! فقال ابن أبي دؤاد : يا أمير المؤمنين ، الرجل منكلم ، فقال : ناظره ، فقال ابن أبي دؤاد : ما تقول يا شيخ في القرآن ؟ مخلوق هو ؟ فقال الشيخ : لم تصفني ، المسألة لي ، فقال : قل ، فقال : هذا الذي تقوله ، علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، أو ما علموه ؟ فقال ابن أبي دؤاد : لم يسموه ؟ قال : فأنت علمت ما لم يعلموا ؟ ! فحجل وسكت ، ثم قال : أفلي ، بل علموه . قال : فلم لادعوا الناس إليه كما دعوتهم أنت ؟ أما يسعلك ما وسعهم ؟ ! فحجل وسكت ، وأمر الوائق له بجائزة نحو أربع مائة دينار ، فلم يقبلها ، قال المهدي : فدخل أبي المنزل فاستلقى على ظهره ، وجعل يكرر قول الشيخ على نفسه ، ويقول : أما وسعك ما وسعهم ؟ ! ثم أطلق الشيخ وأعطاه أربع مائة دينار ورده إلى بلاده ، وسقط من عينيه ابن أبي دؤاد ، ولم يتجن بعده أحداً .

فصل

في حال أبي عبد الله أيام التوكل

قال حنبل : ولي جعفر التوكل ، فأظهر الله السنة ، وفرّج عن الناس ، وكان أبو عبد الله يحدثنا ويحدث أصحابه في أيام التوكل ، وسمعته يقول : ما كان الناس إلى الحديث والعلم أحوج منهم في زماننا .

ثم إن التوكل ذكره وكتب إلى إسحق بن إبراهيم في إخراجه إليه ، فجاء رسول إسحق إلى أبي عبد الله يأمره بالحضور ، فضى أبو عبد الله ثم رجع ، فسأله أبي عما دُعي له ؟ فقال : قرأ عليّ كتاب جعفر يأمرني بالخروج إلى العسكر ، قال : وقال لي إسحق بن إبراهيم : ما تقول في القرآن ؟ قلت : إن أمير المؤمنين قد نهى عن هذا ! فقال : لا تُعلم أحداً أني سألتك ! قلت له : مسألة مسترشد أو مسألة متعنت ؟ قال : بل مسألة مسترشد ، قلت له : القرآن كلام الله ليس بمخلوق ، وقد نهى أمير المؤمنين عن هذا .

وخرج إسحق إلى العسكر ، وقدم ابنه محمد خليفة له ببغداد ، ولم يكن عند أبي عبد الله ما يتجمل به وينفقه ، وكانت عندي مائة درهم . فأتيتُ بها إلى أبي فذهب بها إليه ، فأخذها وأصلح بها ما احتاج إليه واكترى منها ، وخرج ، ولم يلقَ محمد بن إسحق بن إبراهيم ولا سلمَ عليه ، فكتب بذلك محمد إلى أبيه ، ففقدتها إسحق عليه ، فقال للتوكل : يا أمير المؤمنين ، إن أحمد بن حنبل خرج من بغداد ولم يأت محمدًا مولاك ، فقال التوكل : ردّ ولو وطئ بساطي ، وكان أبو عبد الله قد بلغ بصرى^(١) ، فوجه إليه رسولاً يأمره بالرجوع ، فرجع ، وامتنع من الحديث إلا لولده ولنا ، وربما قرأ علينا في منزلنا .

(١) بصرى الشهورة : بالشَّام ، وهذه بصرى أخرى ، من قرى بغداد قرب عكبراء . انظر معجم البلدان .

ثم إن رافعا رفع إلى المتوكل : إن أحمد بن حنبل رُبِّصَ علويًّا في منزله ، وإنه يريد أن يُخرجه ويُباع عليه ، ولم يكن عندنا علم ، فبينما نحن ذات ليلة نيام في الصيف ، سمعنا الجلبة ، ورأينا النيران في دار أبي عبد الله ، فأسرعنا ، وإذا أبو عبد الله قاعد في إزار ، ومظفرُ بن الكلبي صاحبُ الخبر وجماعة معهم ، قرأ صاحب الخبر كتابَ المتوكل : وَرَدَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ عِنْدَكَ عَلَوِيًّا رَبَّصْتَهُ لَتُبَاعَ لَهْ وَتُظْهَرَهْ ، فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ مَظْفَرُ : مَا تَقُولُ ! قَالَ : مَا أَعْرِفُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ، وَإِنِّي لَأَرَى لَهُ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِي وَيُسْرِي ، وَمُنْشَطِي ، وَمَكْرَهِي وَأَنْرَتِي عَلَيَّ^(١) . وَإِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ لَهُ بِالتَّسْديدِ وَالتَّوْفِيقِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ غَيْرِ هَذَا ، فَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : قَدْ أَمَرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَحْلِفَكَ ! قَالَ : فَأَحْلَفْتُهُ بِالطَّلَاقِ ثَلَاثًا : أَنْ مَا عِنْدَهُ طَلِبَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : وَفَتَشَوْا مَنْزِلَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، وَالسَّرْبَ ، وَالغُرْفَ ، وَالسُّطُوحَ ، وَفَتَشَوْا تَابُوتَ الْكُتُبِ ، وَفَتَشَوْا النِّسَاءَ وَالْمَنَازِلَ ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا ، وَلَمْ يَحْسَوْا بَشْيًا ، وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ ، فَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ ، فَوَقَعَ مِنْهُ مَوْعِدًا حَسَنًا ، وَعَلِمَ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَكْذُوبٌ عَلَيْهِ ، وَكَانَ الَّذِي دَسَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ ، وَلَمْ يَمُتْ حَتَّى بَيَّنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَهُوَ ابْنُ الثَّلْجِيِّ^(٢)

(١) يشير إلى حديث عبادة بن الصامت في صحيح مسلم ٢ : ٨٦ : «بإيعاز رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وعلى أن لا تتنازع الأمر أهله ، وعلى أن تقول بالحق أينما كنا ، لا تخاف في الله لومة لائم» . وسيأتي في السند بروايات أخر (ج ٥ ص ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٩ ، ٣٣١ ع) .

(٢) هو محمد بن شجاع أبو عبد الله بن الثلجي الفقيه ، قال ابن عدي : «كان يضع الحديث في التشبيه ، ينسبها إلى أصحاب الحديث ، يساهم بذلك» ! وقال الأزدي : «كذاب ، لا تحمل الرواية عنه نسوء مذهبه وزيفه عن الدين» . مات في ذي الحجة سنة ٢٦٦ . وله ترجمة في تاريخ بغداد ٥ : ٣٥٠ — ٣٥٢ والميزان ٣ : ٧١ — ٧٢ والتهذيب ٩ : ٢٢٠ — ٢٢١ والشذرات ٣ : ١٥١ .

فلما كان بعد أيام بينا نحن جلوس بباب الدار إذا يعقوبُ أحدُ حجابِ التوكل قد جاء ، فاستأذن على أبي عبد الله ، فدخل ودخل أبي وأنا ومع بعض غلمانه بذرةً على بغل ، ومعه كتاب التوكل ، فقرأه على أبي عبد الله : إنه صح عند أمير المؤمنين براءةُ ساحتك ، وقد وَجَّه إليك بهذا المال تستعين به ، فأبى أن يقبله ، فقال : مالي إليه حاجة فقال : يا أبا عبد الله ، أقبل من أمير المؤمنين ما أمرك به ، فإن هذا خير لك عنده ، فأقبل ولا تردّه ، فإنك إن رددته خفتُ أن يظنَّ بك سوءاً ، فحينئذ قبلها ، فلما خرج قال : يا أبا علي ، قلت : لبيك ، قال : ارفع هذه الإجمانة وضَعُها ، يعني البذرة ، تحتها ، فوضعتها وخرجنا ، فلما كان من الليل إذا أمٌّ ولد أبي عبد الله تدقّ علينا الحائط ، فقلت لها : مالك ؟ قالت : مولاي يدعو عمّه ، فأعلمتُ أبي ، وخرجنا فدخلنا على أبي عبد الله ، وذلك في جوف الليل ، فقال : يا عمّ ، ما أخذني النومُ هذه الليلة ، فقال له أبي : ولم ؟ قال : لهذا المال ، وجعل يتوجع لأخذه ، وجعل أبي يُسَكِّتُه ويسهِّل عليه ، فقال : حتى تصبح وترى فيه رأيتك ، فإن هذا ليل ، والناس في منازلهم ، فأمسك وخرجنا ، فلما كان في السحر وجَّه إلى عبدوس بن مالك والحسن بن البرّار فحضرا ، وحضر جماعة ، منهم هرون الجمال ، وأحمد بن منيع ، وابنُ الدَّورقي ، وأنا ، وأبي ، وصالح ، وعبد الله ، فجعلنا نكتب من يذكرونه من أهل السَّتر والصَّلاح ببغداد والسكوفة ، فوجَّه منها إلى أبي سعيد الأشجّ ، وإلى أبي كريب ، وإلى من ذكر من أهل العلم والسنة ، ممن يعلمون أنه محتاج ، ففرقها كلّها ، ما بين الحسين إلى المائة والمائتين ، فما بقي في الكيس درهم ، ثم تصدق بالكيس على مسكين .

فلما كان بعد ذلك مات إسحق بن إبراهيم وابنه محمد ، ووليَّ بغداد عبدُ الله بن إسحق ، فجاء رسوله إلى أبي عبد الله ، فذهب إليه ، فقرأ عليه كتاب التوكل ، فقال له : يأمرُك بالخروج ، فقال : أنا شيخ ضعيف عليل ، فكتب عبد الله بما رَدَّ عليه ، فورد جوابُ الكتاب بأن أمير المؤمنين يأمره بالخروج ، فوجَّه عبد الله

جنوده فباتوا على بابنا أياماً ، حتى تهيأ أبو عبد الله للخروج ، فخرج وخرج صالح وعبد الله وأبي ، زُمَيْلَةٌ (١) .

قال صالح : كان سَهِلُ أَبِي إلى المتوكل سنة سبع وثلانين ومائتين ، ثم عاش إلى سنة إحدى وأربعين ، فكان قلَّ يومٌ يمضي إلا ورسوله المتوكل يأتيه .

قال حنبل في حديثه : وقال أبي : ارجع ، فرجعت ، فأخبرني أبي قال : لما دخلنا إلى المعسكر إذا نحن بموكب عظيم مقبل ، فلما حاذى بنا قالوا : هذا وصيفٌ ، وإذا فارس قد أقبل ، فقال لأحمد : الأميرُ وصيفٌ يقرئك السلام ويقول لك : إن الله قد أمكنك من عدوك ، يعني ابن أبي دؤاد ، وأمير المؤمنين يقبلُ منك ، فلا تدع شيئاً إلا تكلمت به ، فاردَّ عليه أبو عبد الله شيئاً ، وجعلت أنا أدعو لأمر المؤمنين ، ودعوتُ لوصيف ، ومضينا ، فأنزلنا في دار التياح ، ولم يعلم أبو عبد الله ، فسأل بعد ذلك : لمن هذه الدار ؟ قالوا : هذه دار التياح ، فقال : حَوِّلُونِي ، اكثروا لي داراً ، قالوا : هذه دار أنزلوها أمير المؤمنين ، قال : لا أبيت ههنا ، قال أبي : فلم نزل حتى اكثروا له داراً ، وكانت تأتينا في كل يوم مائدة فيها ألوان يأمر بها المتوكلُ والفاكهة والتلجُ وغير ذلك ، فما نظر إليها أبو عبد الله ، ولا ذاق منها شيئاً ، وكانت نفقة المائدة كل يوم مائة وعشرين درهماً ، وكان يحيى بن خاقان وابنه عبيد الله وعلي بن الجهم يأتون أبا عبد الله ، ويحتفلون إليه برسالة المتوكل ، ودامت العلة بأبي عبد الله ، وضمت ضعفاً شديداً ، وكان يواصل ، فكث ثمانية أيام لا يأكل ولا يشرب ، فلما كان في اليوم الثامن دخلتُ عليه ، وقد كاد أن يطغأ ، فقلت : يا أبا عبد الله ، ابنُ الزبير كان يواصل سبعة أيام ، وهذا لك اليوم ثمانية أيام ، قال : إني مطيق ، قلت : بحقي عليك ؟ قال : فإني أفضل ، فأتيته بسويق فشرب ، ووجه إليه المتوكل بمال عظيم فردَّه ، فقال له عبيد الله بن يحيى : فإن أمير المؤمنين يأمرُك أن تدفعها إلى ولدك وأهلك ، قال : هم مستغنون ، فردَّها عليه ، فأخذها عبيد الله

... (١) الزميلة، يضم الزاي وسكون الميم = الرقة . فالظاهر أن هذا الصغيرها .

فقسمها على ولده وأهله ، ثم أجرى التوكل على أهله وولده أربعة آلاف في كل شهر ، فبعث إليه أبو عبد الله : إنهم في كفاية ، وليست بهم حاجة ، فبعث إليه المتوكل : إنما هذا لولدك ، مالك ولهذا ؟ فأمسك أبو عبد الله ، فلم يزل يجري علينا حتى مات المتوكل .

وجرى بين أبي عبد الله وبين أبي في ذلك كلام كثير ، وقال : يا نعم ، ما بقي من أعمارنا ؟ كأنك بالأمر قد نزل بنا ، فإنا أولادنا إنما يريدون يتأكلون بنا ، وإنا هي أيام قلائل ، لو كشف للعبد عما قد حجب عنه لعرف ما هو عليه من خير أو شر ، صبر قليل ، وتواب طويل ، إنما هذه فتنة ، قال أبي : فقلت : أرجو أن يؤمنك الله مما تحذر ، قال : فكيف وأنتم لا تتركون طعامهم ولا جواهرهم ؟ لو تركتوها لتركوكم ، وقال : ما تنتظر ؟ إنما هو الموت ، فإما إلى الجنة ، وإما إلى نار ، فطوبى لمن قدم على خير ، قال أبي : فقلت له : أليس قد أمرت بما جاءك من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف نفس أن تأخذه ؟ قال : قد أخذت مرة بلا إشراف نفس ، فالثانية والثالثة ! فما بال نفسك ألم تستشرف ؟ فقلت : ألم يأخذ ابن عمر وابن عباس ؟ فقال : ما هذا وذاك ! ! وقال : لو أعلم أن هذا المال يؤخذ من وجهه ولا يكون فيه ظلم ولا حيف لم أبال .

قال حنبل : فلما طالت علة أبي عبد الله كان المتوكل يبعث بإبن ماسويه المتطبيب ، فيصف له الأدوية ، فلا يتعالج ، ويدخل المتطبيب على المتوكل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أحمدا ليست به علة في بدنه ، إنما هو من قلة الطعام والصيام والعبادة ، فسكت المتوكل .

وبلغ أم المتوكل خبر أبي عبد الله ، فقالت لابنها : اشتغني أن أرى هذا الرسل ، فوجه المتوكل إلى أبي عبد الله يسأله أن يدخل على ابنه المعتز ويسلم عليه ويدعوه له ، ويجعله في حجره ، فامتنع أبو عبد الله من ذلك ، ثم أجاب رجاء أن يطلق

وينحدر إلى بغداد . فوجه إليه المتوكل خلفه ، وأتوه بدابة يركبها إلى المعتز فامتنع ، وكانت عليها مئذنة كُهور ، فقُدِّم إليه بغل لرجل من التجار فركبه ، وجلس المتوكل مع أمته في مجلس من المكان ، وعلى المجلس ستر رقيق ، فدخل أبو عبد الله على المعتز ، ونظر إليه المتوكل وأمه ، فلما رآته قالت : يا بُنَيَّ ، الله الله في هذا الرجل ، فليس هذا ممن يريد ما عندهم ، ولا المصلحة أن تحبسه عن منزله ، فأذن فليذهب ، فدخل أبو عبد الله على المعتز ، فقال : السلام عليكم ، وجلس ولم يسلم عليه بالمئذنة ، قال : فسمعت أبا عبد الله بعد ذلك ببغداد يقول : لما دخلت عليه وجلست قال مؤدَّب الصبي : أصلح الله الأمير ، هذا الذي أمره أمير المؤمنين يؤدَّبك ويعلمك ، فردَّ عليه الغلام ، وقال : إن عني شيئاً تعلمته ! قال أبو عبد الله : فمجيبت من ذكائه وجوابه على صغره ، وكان صغيراً .

قال : ودامت عمة أبي عبد الله ، وبلغ الخليفة ما هو فيه ، وكله يحيى بن خاقان أيضاً ، وأخبره أنه رجل لا يريد الدنيا ، فأذن له في الانصراف ، فجاء عبید الله بن يحيى وقت العصر ، فقال : إن أمير المؤمنين قد أذن لك ، وأمر أن تُفرش لك حُرَّاقَة تنحدر فيها ^(١) ، فقال : أبو عبد الله : اطلبوا لي زورقاً فأنحدر فيه الساعة ، فطلبوا له زورقاً فأنحدر فيه من ساعته .

قال حنبل : فما علمنا بقدومه ، حتى قيل لي : إنه قد وافى ، فاستقبلته بناحية القطيعة ، وقد خرج من الزورق ، فشيت معه ، فقال لي تقدم لا يراك الناس فيعرفوني ، فتقدمت بين يديه حتى وصل إلى المنزل ، فلما دخل ألقى نفسه على قفاه من التعب والعياء .

وكان في حياته ربما استعار الشيء من منزلنا ومنزل ولده ، فلما صار إلينا من مال السلطان ما صار ، امتنع من ذلك ، حتى لقد وُصف له في عنته قرعة تشوى ،

(١) الحُرَّاقَة بفتح الحاء وتشديد الراء : السفينة الخفيفة ، وكانت هذه السفن بالبصرة .

ويؤخذ ماؤها ، فلما جاؤوا بالقرعة ، قال بعض من حضر : اجعلوها في تنور ،
يعني في دار صالح ، فانهم قد خبزوا ، فقال بيده : لا . ومثل هذا كثير .

وقد ذكر صالح بن أحمد قصة خروج أبيه إلى العسكر ورجوعه وتفتيش بيوتهم
على العلوي ، ثم ورود يعقوب قرقرة ومعه العشرة الآلاف ، وأن بعضها كان مائتي
دينار ، والباقي دراهم ، قال : فبحث بإحانة خضراء فأكبتها على البذرة ، فلما كان
عند المغرب قال : يا صالح ، خذ هذا صكره عندك ، فصيرته عند رأسي فوق البيت ،
فلما كان سحر إذا هو ينادي : يا صالح ، فقم وصعدت إليه ، فقال : ما نمت ،
قلت : لم يا أبة ؟ فجعل يبكي ، وقال : سلمت من هؤلاء ، حتى إذا كان في آخر
عمرى يليت بهم ، قد عزمت عليك أن تفرق هذا الشيء إذا أصبحت ، فقلت :
ذاك إليك ، فلما أصبح جاء الحسن بن البزار ، فقال : جثني يا صالح بميزان ،
وخبسوا إلى أبناء المهاجرين والأنصار ، ثم وجه إلى فلان حتى يفرق في ناحيته ،
وإلى فلان ، حتى فرقها كلها ، ونحن في حالة الله بها عليم ، فجاءني ابن لي فقال :
يا أبة ، أعطني درهما ، فأخرجت قطعة فأعطيته ، فكذب صاحب البريد : إنه
تصدق بالدرهم في يومه حتى تصدق بالكيس ، قال علي بن الجهم : فقلت : يا أمير
المؤمنين ، قد تصدق بها وعلم الناس أنه قد قبل منك ، ما يصنع أحد بالمال ؟ وإنما
قوته رقيق ، قال : فقال لي : صدقت يا حلي .

قال صالح : ثم أخرج أبي ليلاً ومغنا حراس معهم النفاطات ، فلما أصبح
واضاء الفجر قال لي : يا صالح ، معك دراهم ؟ قلت : نعم قال : أعطهم ، فلما أصبحنا
جمل يعقوب يسير معه ، فقال له : يا أبا عبد الله ، ابن الثلجي بلغني أنه كان
يذكرك ، فقال له : يا أبا يوسف ، سل الله العافية ، فقال له : يا أبا عبد الله ، تريد
أن تؤذي عنك رسالة إلى أمير المؤمنين ؟ فسكت ، فقال : إن عبد الله بن إسحق

أخبرني أن الوابصي^(١) قال له : إني أشهد عليه أنه قال : إن أحمد يعبدُ ماني !
 فقال : يا أبا يوسف ، يكفي الله ، فغضب يعقوب والتفت إلى قتل : ما رأيت أعجب
 مما نحن فيه ، أسأله أن يطلق لي كلمة أخبرُ أمير المؤمنين فلا يفعل !!

قال : ووجه يعقوب إلى المتركِل بما عمل ، ودخلنا العسكر ، وأبي
 منكسرُ الرأس ورأسه مغطى ، فقال له يعقوب : اكشف رأسك يا أبا عبد الله ،
 فكشفه ، ثم جاء وصيف يريدُ الدارَ ، ووجه إليه بعد ما جاز يحيى بن هرثمة فقال :
 يُقرئك أمير المؤمنين السلام ، ويقول : الحمد لله الذي لم يشتِ بك أهل البدع ،
 قد علمت ما كان من حال ابن أبي دواد ، فينبغي أن نتكلم بما يجب لله ، ومضى
 يحيى ، وأنزل أبي دارَ إيتاخ ، فجاء علي بن الجهم وقال : قد أمر لكم أمير المؤمنين
 بعشرة آلاف مكان تلك التي فرقها ، وأمر أن لا يُعلم شيخُكم بذلك فيقتم ، ثم جاءه
 محمد بن معاوية فقال : إن أمير المؤمنين بكثرة ذكرك ، ويقول : يقيم ههنا يحدث ،
 فقال : أنا ضعيف .

ثم صار إليه يحيى بن خافان فقال : يا أبا عبد الله ، قد أمر أمير المؤمنين أن
 أصيرَ إليك لتركب إلى ابنه أبي عبد الله ، يسني المعتز ، ثم قال لي : قد أمرني أمير
 المؤمنين يُجبري عليك وعلى قراباتك أربعة آلاف درهم تفرقها عليهم ، ثم عاد يحيى
 من الغد فقال : يا أبا عبد الله ، تركب ؟ قال : ذاك إليكم ، ولبس إزاره وخفّه ، وكان
 خفّه له عنده نحو من خمسة عشر مائاً ، قد رُقع برقاق عدة ، فأشار يحيى أن يلبس
 قلنسوة ، فنت : ما له قلنسوة ، إلى أن قال : فدخل دار المعتز ، وكان قاعداً على
 دكان في الدار ، فلما صعد الدكان قعد ، فقال له يحيى : يا أبا عبد الله ، إن أمير المؤمنين
 جاء بك ليُسَرَّ بقربك ويُصيرَ أبا عبد الله ابنه في حبرك ، فأخبرني بعض الخدم

(١) هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن صخر ، من ولد وابصة بن معبد ، كان
 يتولى قضاء بغداد ، مات سنة ٢٤٩ . له ترجمة في تاريخ بغداد ١٤ : ٥٢ - ٥٣ والتهذيب

أن المتوكل كان قاعداً وراء سِتْرٍ ، فلما دخل أبي الدار قال لأمه : يا أُمّة ، قد نارت الدار ، ثم جاء خادم بمنديل ، فأخذ يحيى المنديل ، وذكر قصةً في إلباسه القميص والطيلسان والقلنسوة ، وهو لا يحرك يده ، ثم انصرف .

• وكانوا قد تحدثوا أنه يخلع عليه سواداً ، فلما صار إلى الدار نزع الثياب ، ثم جعل يبكي ، فقال : سلتُ من هؤلاء منذ ستين سنة ، حتى إذا كان في آخر عمري بُليت بهم ! ما أحسبني سلتُ من دخولي على هذا الغلام ، فكيف بمن يجب علي نصحه من وقت تقع عيني عليه إلى أن أخرج من عنده ؟ يا صالح ، وجه بهذه الثياب إلى بغداد تباع ويتصدق بثمنها ، ولا يشتري أحد منكم منها شيئاً ، فوجهت بها إلى يعقوب بن بُختان^(١) فباعها وفرق ثمنها ، وبقيت عندي القلنسوة .

قال : ومكث خمسة عشر يوماً يفطر في كل ثلاث على ثمن سويق ، ثم جعل بعد ذلك يفطر ليلةً على رغيف وليلةً لا يفطر ، وكان إذا جيء بالمائدة توضع بالدهليز لثلاً يراها ، فيأكل من حضر ، فكان إذا أجهده الحرُّ بَلَّ خرقةً فيضعها على صدره ، وفي كل يوم يرجه إليه ابن ماسويه ، فينظر إليه ويقول : يا أبا عبد الله ، أنا أميلُ إليك وإلى أصحابك ، وما بك علة إلا الضعف وقلة الرز^(٢) .

إلى أن قال : وجعل يعقوب وغياث يصيران إليه ، ويقولان له : يقول لك أمير المؤمنين : ما تقول في ابن أبي دؤاد وفي ماله ؟ فلا يجيب في ذلك بشيء ، وجعل يعقوب ويحيى يخبراه^(٣) بما يحدث في أمر ابن أبي دؤاد في كل يوم ، ثم أحدر إلى

(١) هو يعقوب بن إسحق بن بُختان ، نسب هنا إلى جده ، وهو من أصحاب أحمد ، وكان أحد الصالحين الثقات ، له ترجمة في طبقات الختابة لابن أبي يعلى ٢٧٦ وتاريخ بغداد ١٤ : ٢٨٠ .

(٢) الرز ، بكسر الراء وتشديد الزاي : غمر الحدث وحركته في البطن للخروج حتى يحتاج صاحبه إلى دخول الحلاء .

(٣) - كذا في الأصل ، وله وجه .

بغداد بعد ما أشهد عليه بيع ضياعه . وكان ربما صار إليه يحيى بن خاقان وهو يصلي ، فيجلس في الدمليز حتى يفرغ .

وأمر المتوكل أن يشتري لنا دار ، فقال : يا صالح اقلت : لبيك ، قال : لئن أقررت لهم بشراء دار لتكون القطيعة بيني وبينكم ، إنما يريدون أن يصيروا هذا البلد لي مأوى ومسكناً ، فلم نزل ندفع شراء الدار حتى اندفع .

وجعلت رسل المتوكل تأتيه يسألونه عن خبره ، ويصيرون إليه فيقولون : هو ضعيف ، وفي خلال ذلك يقولون : يا أبا عبد الله ، لا بد من أن يراك ، وجاء يعقوب فقال : يا أبا عبد الله ، أمير المؤمنين مشتاق إليك ويقول : انظر يوماً تصير فيه أي يوم هو حتى أعرفه ؟ فقال : ذاك إليكم ، فقال : يوم الأربعاء يوم خالي ، وخرج يعقوب ، فلما كان من الغد جاء فقال : البشري يا أبا عبد الله ، أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول : قد أعفيتك عن لبس السواد والركوب إلى ولاية اليهود وإلى الدار ، فإن شئت فالبس القطن ، وإن شئت فالبس الصوف ، فجعل يحمد الله على ذلك .

ثم قال يعقوب : إن لي ابناً وأنا به مُعجَّب ، وإن له من قلبي موقماً ، فأحب أن تحدثه بأحاديث ، فسكت ، فلما خرج قال : أترأى ما أنا فيه !

وكان يحتم من جمعة إلى جمعة ، وإذا ختم دعا ، فيدعوا وتؤمن ، فلما كان غداة الجمعة وجه إلي وإلى أخي ، فلما ختم جعل يدعو ونحن تؤمن ، فلما فرغ جعل يقول : أستخير الله ، مرات ، فجعلت أقول : ما يريد ؟ ثم قال : إني أعطي الله عهداً إن عهده كان مسؤولاً ، وقال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) أي لا أحدث حديث تمام أبداً حتى ألقى الله ، ولا أستثنى منكم أحداً ، فخرجنا وجاء علي بن الجهم فأخبرناه ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وأخبر المتوكل بذلك ، وقال : إنما يريدون أحدث ويكون هذا البلد حليسي ، وإنما كان سبب الذين

أقاموا بهذا البلد لما أعطوا فقبلوا وأمرُوا لخذلوا ، وجعل أبي يقول : والله لقد تميت الموت في الأمر الذي كان ، وإني لأتمنى الموت في هذا ، وذلك أن هذا فتنة الدنيا ، وذلك كان فتنة الدين ، ثم جعل يضم أصابع يده ويقول : لو كانت نفسي في يدي لأرسلتها ، ثم يفتح أصابعه .

وكان المتوكل يوجه في كل وقت يسأله عن حاله . وكان في خلال ذلك يأمر لنا بالمسال ، ويقول : يوصل إليهم ولا يعلم شيخهم فيقتم ، ما يريد منهم ؟ إن كان هو لا يريد الدنيا فلم يمنعهم ؟

وقالوا للمتوكل : إنه لا يأكل من طعامك ، ولا يجلس على فراشك ، ويحرم الذي تشرب فقال لهم : لو نشر المتعصم . وقال فيه شيئاً لم أقبل منه .

قال صالح : ثم انحدرت إلى بغداد ، وخلفت عبد الله عنده ، فإذا عبد الله قد قدم وجاء بشيبي التي كانت عنده ، فقلت : ما جاء بك ؟ فقال : قال لي انحدر ، وقل لصالح : لا تخرج فأتهم كنتم آفئ ، والله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أخرجت واحداً منكم معي ، لولاكم لمن كانت توضع هذه السائدة ؟ ولئن كانت تفرش هذه الفرش ، وتجري الأمراء ؟ ! فكتبت إليه أعلمه ما قال لي عبد الله ، فكتب إلي بخطه : « أحسن الله عاقبتك ، ودفع عنك كل مكروه ومحذور ، الذي حلني على الكتاب إليك الذي قلت لعبد الله لا يأتيني منكم أحد رجاء أن ينقطع ذكري ويحمد ، إذا كنتم ههنا فشا ذكري ، وكان يجتمع إليكم قوم يقتلون أخبارنا ، ولم يكن إلا خير ، فإن أمت فلم تأتني أنت ولا أخوك فهو رضائي ، ولا تجعل في نفسك إلا خيراً ، والسلام عليك ورحمة الله » .

قال : ولما خرجنا من العسكر رفعت السائدة والفرش ، وكل ما أقيم لنا ، ثم ذكر صالح كتاب وصيته .

ثم قال : وبعث إليه المتوكل بألف دينار ليقسمها ، فجاء علي بن الجهم في

جوف الليل ، فأخبره بأنه يهيئ له حُرَاقَة ينحدر فيها ، ثم جاء عبيد الله ومعه ألف دينار ، فقال : إن أمير المؤمنين قد أذن لك ، وقد أمر لك بهذه ، فقال : قد أعفاني أمير المؤمنين بما أكره ، فردّها وقال : أنا رقيق على البرد والظهر ، أرفق بي فكتب له جواز ، وكتب إلى محمد بن عبد الله في بره وتساخده ، فقدم علينا .

ثم قال بعد قليل : يا صالح ، قلت : لبيك ، قال : أحبُّ أن تدع هذا الرزق ، فإنما تأخذونه بسببي ، فسكت ، فقال : مالك ؟ قلت : أكره أن أعطيك شيئاً بلساني وأخالف إلى غيره ، وليس في القوم أكثر عيالاً مني ولا أعذر ، وقد كنت أشكو إليك ، وتقول أمرك منعقد بأمري ، ولعل الله أن يحل عني هذه العقدة ، وقد كنت تدعولي ، فأرجو أن يكون الله قد استجاب لك ، فقال : والله لا تفعل ، قلت : لا ، فقال : لم ؟ قتل الله بك وفعل !

ثم ذكر قصة في دخول عبد الله عليه وقوله له وجوابه له ، ثم دخول عمه عليه وإنكاره للأخذ ، إلى أن قال : فهجرنا ، وسدَّ الأبواب بيننا وبينه ، وتَحَامَى منازلنا أن يدخل منا إلى منزله شيء ، ثم أخبر بأخذ عمه ، فقال : ناقضني وكذبتي ، ثم هجره ، وترك الصلاة في المسجد وخرج إلى مسجد خارج يصلي فيه .

ثم ذكر قصة في دعائه صالحاً ومعاتبته في ذلك ، ثم في كنيته إلى يحيى بن خاقان ليتروك معونة أولاده ، وبلغ الخبر إلى المتوكل ، فأمر بحمل ما اجتمع لهم في عشرة أشهر ، وهو أربعون ألف درهم ، إليهم ، وأنه أخبر بذلك ، فسكت قليلاً ، وضرب بذقنه على صدره ، ثم رفع رأسه ، فقال : ما حيلتي أن أردتُ أمراً وأراد الله أمراً .

قال أبو الفضل صالح : وكان رسول المتوكل يأتي أبي يبلغه السلام ويسأله عن حاله ، فتأخذه نفصة حتى تدثره ، ثم يقول : والله لو أن نفسي في يدي لأرسلتها .

وجاء رسول المتوكل إلى أبي يقول : لو سلم أحد من الناس سلمت ، رقع رجل

إليّ أن علويّاً قدم من خراسان ، وأنتك وجهت إليه من يلقاه ، وقد حبست الرجل

وأردت ضربه ، فكرهت أن تنتمّ فرّ فيه ، قال : هذا باطل ، يخلّ سبيله ،
ثم ذكر قصة في قدوم المتوكل بغداد ، وإشارته على صالح بأن لا يذهب إليهم ،
ثم في محبي ، يحيى بن خاقان من عند المتوكل ، وما كان من احترامه ومحبته بألف
دينار فيفرقها ، وقوله : قد أعفاني أمير المؤمنين من كل ما أكره ، وفي توجيه محمد
بن عبد الله بن طاهر إليه ليحضره ، وامتناعه من حضوره ، وقوله : أنا رجل لم
أخالط السلطان ، وقد أعفاني أمير المؤمنين مما أكره .

قال : وكان قد أدمن الصوم لما قدم ، وجعل لا يأكل الدسم ، وكان قبل ذلك
يُشترى له الشحم بدرهم فيأكل منه شهراً !! فترك أكل الشحم وأدمن الصوم والصل ،
فتوهمت أنه قد كان جعل على نفسه إن سلم يفعل ذلك .

وقال الخلال أبو بكر : حدثني محمد بن الحسين أن أبا بكر المروزي حدثهم :
كان أبو عبد الله بالعسكر يقول : انظر هل تجد لي ماء الباقلاً ؟ فكنت ربما قلت
خبزةً بالماء فيأكلها بالملح ، وربما أنه منذ دخلنا العسكر إلى أن خرجنا ما ذاق
طبيخاً ولا دسماً .

وعن المروزي قال : أنبني أبو عبد الله ذات ليلة ، وكان قد واصل ، فإذا هو
قاعد ، فقال : هو ذا يذكّرني من الجوع ، فأطعمني شيئاً ، فحشته بأقل من رغيف
فأكله ، قال : لولا أنني أخاف العون على نفسي ما أكلت . وكان يقوم من فراشه
إلى المخرج ، فيقعد يستريح من الضعف من الجوع ، وحتى إن كنت لأبلّ
الخرفة فيلفها على وجهه ، لترجع إليه نفسه ، حتى أوصى من الضعف من غير
مرض ، فسمته يقول عند وصيته ، ونحن بالعسكر ، وأشهد على وصيته : « هذا
ما أوصى به أحمد بن محمد ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
وأن محمداً عبده ورسوله » . وذكر ما يأتي :

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر

يوماً ، ما ذاق شيئاً إلا مقدار ربع سويق ، ورأيت ما في عينيه قد دخلا في حدقيه .

وقال صالح بن أحمد : وأوصى أبي بالعسكر هذه الوصية :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أوصى به أحمد بن محمد بن محمد بن حنبل ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وأوصى من أطاعه من أهله وقرباته أن يعبدوا الله في العبادين ، ويحمدوه في الحامدين ، وأن ينصحوا جماعة المسلمين ، وأوصى أني قد رضيت بالله رباً . وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، وأوصى أن لعبد الله بن محمد المعروف بفوارن عليّ نحواً من خمسين ديناراً ، وهو مصدق فيما قال ، فيُقضى ماله عليّ من غلة الدار إن شاء الله تعالى ، فإذا استوفى أُعطي ولدُ صالح وعبد الله ابني أحمد بن محمد بن حنبل ، كلُّ ذكر وأثنى عشرة دراهم ، بعد وفاء مال أبي محمد ، شهد أبو يوسف وصالح وعبد الله ابنا أحمد .

أُنشئتُ عن سمع أبا علي الحداد أخبرنا أبو نعيم في الحلية^(١) حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا عبيد الله بن أحمد بن حنبل قال : كتب عبيد الله بن يحيى إلى أبي يخبره أن أمير المؤمنين أمرني أن أكتب إليك أسألك عن أمر القرآن ، لا مسألة امتحان ، ولكن مسألة معرفة وتبصرة . فأمل عليّ أبي رحمه الله إلى عبيد الله بن يحيى ، وحدي ما معي أحد :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أحسن الله عاقبتك أبا الحسن في الأمور كلها ، ودفع عنك مكاره الدنيا والآخرة برحمته . قد كتبتُ إليك رضي الله عنك بالذي سأل عنه أمير المؤمنين بأمر القرآن ، بما حضرنى ، وإني أسأل الله أن يديم توفيق أمير المؤمنين ، فقد كان الناس في خوض من الباطل واختلاف شديد ينغمسون فيه ،

(١) هي بنصها في الحلية لأبي نعيم ٢١٦:٩ — ٢١٩ ، ورواها ابن الجوزي في مناقب

أحمد ٣٧٧ — ٣٧٩ بإسناده لأبي نعيم ، ولكنه اختصرها ، ولم يسبق نصها كاملاً .

حتى أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين ، فنفى الله بأمير المؤمنين كل بدعة ، وانجلى
عن الناس ما كانوا فيه من الدل وضيق المحاسن^(١) ، فصرف الله ذلك كله ، وذهب
به بأمير المؤمنين ، ووقع ذلك من المسلمين موقعا عظيما ، ودعوا الله لأمر المؤمنين ،
[وأسأل الله أن يستجيب في أمير المؤمنين صالح الدعاء ، وأن يتم ذلك لأمر
المؤمنين^(٢)] ، وأن يزيد في نيته ، وأن يعينه على ما هو عليه ، فقد ذكر عن عبد الله
بن عباس أنه قال : لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، فإن ذلك يوقع الشك
في قلوبكم ، وذكر عن عبد الله بن عمرو أن نفرا كانوا جلوسا بباب النبي صلى الله
عليه وسلم ، فقال بعضهم : ألم يقل الله كذا ؟ وقال بعضهم : ألم يقل الله كذا ؟ فسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج كأنما فقى في وجهه حب الرمان ، فقال : بهذا
أمرتم ، أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ؟ إنما ضلّت الأمم قبلكم في مثل هذا ،
إنكم لستم بما همنا في شيء ، انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به ، وانظروا الذي نهيتم
عنه فاتموا عنه . وروي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : مراة في
القرآن كفر . وروي عن أبي جهم ، رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال : لا تماروا في القرآن ، فإن مراة فيه كفر . وقال ابن عباس : قدم
على عمر بن الخطاب رجل ، فجعل عمر يسأله عن الناس ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا ، فقال ابن عباس : فقلت : والله ما أحب أن
يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة ، قال : فزبرني عمر ، وقال : مه ، فانطلقت
إلى منزلي مكتئبا حزينا ، فبينما أنا كذلك إذ أتاني رجل فقال : أجب أمير المؤمنين ،
فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني ، فأخذ بيدي فخلا بي ، فقال : ما الذي كرهت ؟
قلت : يا أمير المؤمنين ، متى يتسارعوا هذه المسارعة يحققوا^(٣) ، ومتى ما يحققوا

(١) في الخلية « وضيق المحاسن » وما هنا موافق لابن الجوزي .

(٢) الزيادة من الخلية وابن الجوزي ، وهي مهمة لتتام الكلام .

(٣) يحققوا : يقول كل منهم : الحق في يدي وسمي .

يختصوا ، ومتى ما يختصوا يختلفوا ، ومتى ما يختلفوا يقتتلوا ، قال : الله أبوك ! والله إن كنت لأكتبها للناس حتى جثت بها . ورؤي عن جابر قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالوقوف فيقول : هل من رجل يحملني إلى قومه ، فإن قر بشأني مسعوني أن أبلغ كلام ربي . ورؤي عن جبير بن نفير قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه ؟ يعني القرآن . ورؤي عن ابن مسعود أنه قال : جردوا القرآن ولا تكتبوا فيه شيئاً إلا كلام الله عن وجه . ورؤي عن عمر بن الخطاب أنه قال : إن هذا القرآن كلام الله ، فضوه مواضعه . وقال رجل للحسن البصري : يا أبا سعيد ، إني إذا قرأت كتاب الله وتدبرته كدت أن آيس^(١) وينقطع رجائي ، فقال : إن القرآن كلام الله ، وأعمال ابن آدم إلى الضعف والتقصير ، فاعمل وأبشر . وقال فروة بن نوفل الأشجعي : كنت جاراً للكتاب ، وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فخرجت معه يوماً من المسجد وهو آخذ بيدي ، فقال : يا هتاه ، تقرب إلى الله بما استطعت ، فإنك لن تقترب إليه بشيء أحسب إليه من كلامه . وقال رجل للحكم بن عتيبة : ما حمل أهل الأهواء على هذا ؟ قال : الخصومات . وقال معاوية بن قرة ، وكان أبوه ممن أتى النبي صلى الله عليه وسلم : إياكم وهذه الخصومات ، فإنها تحبط الأعمال . وقال أبو قلابة ، وكان قد أدرك غير واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجالسوا أهل الأهواء ، أو قال : أصحاب الخصومات ، فإنه لا آمن أن يمسوكم في ضلالتهم ، ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون . ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين ، فقالا : يا أبا بكر ، نحدثك بمحدث ؟ قال : لا ، قالا : فنقرأ عليك آية قال : لا ، لتقومان عني أو

(١) في اللسان : « قال الجوهري : أيست منه آيس يأساً : لغة في يئست منه يأس يأساً ، ومصدرها واحد » . ونقل أيضاً عن ابن سيدة قال : « أيست من الشيء مقلوب عن يئست » وليس بلغة فيه . -

لأَقْوَمَنَّةَ ، فقاما ، فقال بعض القوم : يا أبا بكر ، وما عليك أن يقرأ^(١) عليك آية ؟ قال : إني خشيت أن يقرأ علي آية فيحرقانيها ، فيقر ذلك في قلبي ، ولو أعلم أنني أكون مثلي الساعة لتركتهما . وقال رجل من أهل البدع لأيوب السخثياني : يا أبا بكر ، أسألك عن كلمة ؟ فوالى وهو يقول بيده : ولا نصف كلمة . وقال ابن طاووس لابن له يكلمه رجل من أهل البدع : يا بني ، أدخل أصبعيك في أذنيك ، حتى لا تسمع ما يقول ، ثم قال : اشدّد اشدّد . وقال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه غرض^(٢) للخصومات أكثر التنقل . وقال إبراهيم النخعي : إن القوم لم يدّخر عنهم شيء خبيئاً لكم للفضل عندهم . وكان الحسن رحمه الله يقول : شرّ داء خالط قلباً ، يسني الأهواء . وقال حذيفة بن اليمان : اتقوا الله وخذوا طريق من كان قبلكم ، والله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً ، ولئن تركتموه يميناً وشمالاً لقد ضلّتم ضلالاً بعيداً ، أوقال : مديناً . قال أبي : وإنما تركت ذكر الأسانيد لما تقدم من اليمين التي قد حلفت بها مما قد علمه أمير المؤمنين ، لولا ذاك ذكرتها بأسانيدها . وقد قال الله تعالى : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) . وقال : (ألا له الخلق والأمر) فأخبر بالخلق ، ثم قال (والأمر) ، فأخبر أن الأمر غير الخلق . وقال عز وجل : (الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان علمه البيان) ، فأخبر أن القرآن من علمه . وقال تعالى : (وإن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل إن هدى الله فهو المهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير) . وقال : (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة

(١) كذا في الأصل . وفي الحلية « أن يقرأ »

(٢) كذا بالأصل ، رسم للنصب للنون بغير ألف كرم المرفوع ، وهو جائز ، انظر أمثلة لذلك في رسالة الشافعي بتحقيقنا وشرحنا ، أشرنا إلى مواضعها هناك في صفحة ٦٦١ من فهرسها .

بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم ، إنك إذا لمن الظالمين) .
 وقال تعالى : (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من
 العلم ما لك من الله من ولي ولا واق) . فالقرآن من علم الله ، وفي هذه الآيات
 دليل على أن الذي جاءه هو القرآن ، لقوله (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك
 من العلم) . وقد روي عن غير واحد من مصي من سلفنا أنهم كانوا يقولون :
 القرآن كلام الله غير مخلوق ، وهو الذي أذهب إليه ، لست بصاحب كلام ، ولا أرى
 الكلام في شيء من هذا ، إلا ما كان في كتاب الله ، أو في حديث عن النبي
 صلى الله عليه وسلم ، أو عن أصحابه ، أو عن التابعين ، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه
 غير محمود .

قلت : رواة هذه الرسالة عن أحمد أئمة أثبات ، أشهد بالله أنه أملاها
 على ولده ، وأما غيرها من الرسائل المنسوبة إليه ، كرسالة الإصطخري ، ففيها
 نظر ، والله أعلم .

ذكر مرضه رحمه الله

قال ابنه عبد الله : سمعت أبي يقول : استكملت سبعا وسبعين سنة . فحم من
 ليلته ومات يوم العاشر .

وقال صالح : لما كان في أول يوم من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين
 ومائتين حم أبي ليلة الأربعاء ، وبات وهو محوم ، يتنفس تنفساً شديداً ، وكنت
 قد عرفت علته ، وكنت أمرضه إذا اعتل ، فقلت له : يا أبت ، على ما أفطرت
 البارحة ؟ قال : على ماء باقلاً ، ثم أراد القيام فقال : خذ بيدي فأخذت بيده ،
 فلما صار إلى الخلاء ضعفت رجلاه حتى توكأ علي ، وكان يختلف إليه غير متطبيب ،
 كلهم مسلمون ، فوصف له متطبيب قرعة تشوى ويسقى ماءها - وهذا يوم الثلاثاء

فتوفي يوم الجمعة - فقال : يا صالح ، قلت : لبيك ، قال : لا تُشوي في منزلك ولا في منزل أخيك ، وصار الفتح بن سهل إلى الباب ليعوده ، فحجبه ، وأتى ابن علي بن الجعد فحجبه ، وكثر الناس ، فقال : أي شيء ترى ؟ قلت : تأذن لهم فيدعون لك ، قال : استخبر الله تعالى ، فجعلوا يدخلون عليه أقواجا حتى تمتلئ الدار ، فيسألونه ويدعون له ، ثم يخرجون ويدخل فوج آخر ، وكثر الناس ، وامتلاء الشارع ، وأغلقتنا باب الزقاق ، وجاء رجل من جيرتنا قد خضب ، فقال أبي : إني لأرى الرجل يحكي شيئا من السنة فأفرح به ، [فدخل فجعل يدعو له ، فجعل يقول : له ولجميع المسلمين ، وجاء رجل فقال : تلتطف لي بالإذن عليه ، فإني قد حضرت ضربه يوم الدار ، وأريد أن أستحله ، فقلت له ، فأمسك ، فلم أزل به حتى قال : أدخله ، فأدخلته ، فقام بين يديه وجعل يبكي ، وقال : يا أبا عبد الله ، أنا كنت ممن حضر ضربك يوم الدار ، وقد أتيتك ، فإن أحببت القصاص فأنا بين يديك ، وإن رأيت أن تحلني فعلت ، فقال : علي أن لا تعود لمثل ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فإني قد جعلتك في حل ، فخرج يبكي ، وبكى من حضر من الناس] ^(١) ، وكان له في خُرَيْفَةٍ قُطَيْمَاتٌ ، فإذا أراد الشيء أعطينا من يشتري له ، وقال لي يوم الثلاثاء : انظر في خُرَيْفَتِي شيء ، فنظرت فإذا فيها درهم ، فقال : وجه أنتض بعض السكان ، فوجهت فأعطيت شيئا ، فقال : وجه فاشتر تمرأ وكفر عني كفارة يمين ، وبقي ثلاثة دراهم ، أو نحو ذلك ، فأخبرته ، فقال : الحمد لله ، وقال : اقرأ علي الوصية ، فقرأتها عليه ، فأقرها ، وكنت أنام إلى جنبه ، فإذا أراد حاجةً حركني فأناوله ، وجعل يحرك لسانه ، ولم يسن إلا في الليلة التي توفي فيها ، ولم يزل يصلي قائما أمسكه ، فيركع ويسجد ، وأرفعه في ركوعه ، واجتمعت عليه أوجاع الحصر ، وغير ذلك ، ولم يزل عقله نابيا ، فلما كان يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، لساعتين من النهار ، توفى .

(١) الزيادة من ابن الجوزي ٤٠٣ .

وقال الروذي : مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول ، ومرض تسعة أيام ، وكان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجا ، يسلمون عليه ويرد عليهم بيده ، وتسمع الناس وكثروا ، وسمع السلطان بكثرة الناس ، فوكل السلطان يبايه وبياب الزقاق الرابطة وأصحاب الأخبار ، ثم أغلق باب الزقاق ، فكان الناس في الشوارع والمساجد ، حتى تعطل بعض الباعة ، وحيل بينهم وبين البيع والشراء ، وكان الرجل إذا أراد أن يدخل إليه ربما دخل من بعض الدور وطُرز الحاكمة^(١) ، وربما تسلق ، وجاء أصحاب الأخبار فقمعدوا على الأبواب ، وجاءه حاجبُ ابن طاهر فقال : إن الأمير يقرئك السلام ، وهو يشتهي أن يراك ، فقال : هذا مما أكره ، وأمير المؤمنين أعفاني مما أكره ، وأصحاب الخبر يكتبون بخبره إلى السكر ، والبزْد تختلف كل يوم ، وجاء بنوهاشم فدخلوا عليه ، وجعلوا يبكون عليه ، وجاء قوم من القضاة وغيرهم ، فلم يؤذن لهم ، ودخل عليه شيخ فقال : اذكر وقوفك بين يدي الله ، فشهِق أبو عبد الله ، وسالت الدموع على خديه ، فلما كان قبل وفاته يوم أو يومين قال : ادعوا لي الصبيان ، بلسان ثقيل ، فجعلوا ينضون إليه ، وجعل يشمهم ويمسح بيده على رؤوسهم ، وعينه تدمع ، [فقال له رجل : لا تقم لهم يا أبا عبد الله ، فأشار بيده ، فظننا أن معناه : أي لم أريد هذا المعنى ، وكان يصلي قاعداً ، ويصلي وهو مضطجع ، لا يكاد يفتّر ، ويرفع يديه في إيماء الركوع]^(٢) ، وأدخلت الطست تحته فرأيت بوله دماً عبيطاً ليس فيه بول ، فقلت للطبيب ، فقال : هذا رجل قد فتت الحزن والنهم جوفه ، واشتدت عليه^(٣) يوم الخميس ، ووضأته ،

(١) كذا في الأصل ، والظاهر أنه يريد أطراف مصانعهم ، فإن « طرة » كل شيء طرفه ، وجمعها « طرر » يضم الطاء وفتح الراء الأولى . وفي ابن الجوزي ٤٠٤ « طرز » بالزاي في آخره ، ولم أجد لها وجهاً .

(٢) الزيادة من ابن الجوزي ٤٠٦ .

(٣) كذا بالأصل ، يريد : اشتدت عليه علته . وفي ابن الجوزي ٤٠٦ : « واشتدت به العلة » .

فقال : خلل الأصابع ، فلما كانت ليلة الجمعة ثقل ، وقبض صدر النهار ، فصاح الناس ، وعلت الأصوات بالبكاء ، حتى كأن الدنيا قد ارتجت ، وامتلات السمك والشوارع .

وقال أبو بكر الخلال : أخبرني عصمة بن عصام حدثنا حنبل قال : أعطى بعض ولد الفاضل بن الربيع أبا عبد الله وهو في الحبس ثلاث شعرات ، فقال : هذه من شعر النبي صلى الله عليه ، فأوصى عند موته أن يجعل على كل عين شعرة ، وشعرة على لسانه ، ففعل به ذلك عند موته .

وقال حنبل : توفي يوم الجمعة في ربيع الأول .
وقال مطين^(١) : في ثاني عشر ربيع الأول . وكذلك قال عبد الله بن أحمد وعباس الشوري .

وقال البخاري : مرض أحمد بن حنبل لليلتين خلتا من ربيع الأول ، ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة^(٢) خلت من ربيع الأول .

قلت : غلط ابن قانع وغيره فقالوا : في ربيع الآخر . فليعرف ذلك .
وقال الخلال : حدثنا المروذي قال : أخرجت الجنائز بعد منصرف الناس من الجمعة .

قلت : وقد روى الإمام أحمد في مسنده : حدثنا أبو عامر حدثنا هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه قال : ما من مسلم يموت يوم الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر^(٣)

(١) « مطين » بضم الميم وفتح الطاء وتشديد الياء المفتوحة : لقب « محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي الحافظ » انظر المشبه للذهبي ٤٨٨ وشرح القاموس ٩ : ٢٧٠ وطبقات الحنابلة ٢١٧ وتذكرة الحفاظ ٢ : ٢١٠ - ٢١١ .

(٢) في الأصل « لاثني عشرة » .

(٣) سيأتي في السند برقم ٦٥٨٢ .

وقال صالح : وجه ابن طاهر ، يعني نائب بغداد ، بحاجبه مظفر ومعه غلامين^(١) معهما مناديل فيها ثياب وطيب ، فقالوا : الأمير يقرئك السلام ويقول : قد فعلت ما لو كان أمير المؤمنين حاضره كان يفعل ذلك ، قفلت : أقرئ الأمير السلام ، وقل له : إن أمير المؤمنين قد كان أعفاه في حياته مما كان يكره ، ولا أحب أن أتبعه بعد موته بما كان يكرهه في حياته ، فعاد وقال : يكون شعاره ، فأعدت عليه مثل ذلك . وقد كان غزأت له الجارية ثوباً عُشارياً قوّم بثانية وعشرين درهماً ليقطع منه قميصين ، فقطعنا له لغافتين ، وأخذ منه فوران لغافة أخرى^(٢) ، فأدرجناه في ثلاث لغائف ، واشترينا له خنوطاً ، وفرغ من غسله ، وكفناه ، وحضر نحو مائة من بني هاشم ونحن نسكفنه ، وجعلوا يقبلون جبهته حتى رفعناه على السرير .

وقال عبد الله بن أحمد : صلى على أبي محمد بن عبد الله بن طاهر ، غلبنا على الصلاة عليه ، وقد كنا صلينا عليه نحن والهاشميون في الدار .

وقال صالح : وجه ابن طاهر : من يصلي عليه ؟ قلت : أنا ، فلما صرنا إلى الصحراء إذا ابن طاهر واقف ، نخطأ إلينا خطوات ، وعزّانا ، ووضع السرير ، فلما انتظرت هنيئة تقدمت وجعلت أسوي صفوف الناس ، فجاءني ابن طاهر ، فقبض هذا على يدي ، ومحمد بن نصر على^(٣) يدي ، وقالوا : الأميرا فالتفتهم ، فتحياني وصلى ، ولم يعلم الناس بذلك ، فلما كان من الغد علم الناس فجعلوا يجيئون ويصلون على القبر ، ومكث الناس ما شاء الله يأتون فيصلون على القبر .

(١) كذا في الأصل « غلامين » .

(٢) كذا بالأصل ، وفي ابن الجوزي ٤١٢ « وأخذنا من فوران لغافة أخرى »

وهو الصواب

(٣) كذا بالأصل ، وهو غير واضح ، ولعل فيه خطأ ، وفي ابن الجوزي ٤١٤ :

« فجاءني ابن طالوت ومحمد ، فقبض هذا على يدي ، وهذا على يدي » .

وقال عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ يَحْيَى بنُ خَاقَانَ : سمعتُ التَّوَكُّلَ يقولُ لمُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ :
طوبى لك يا مُحَمَّدُ ، صليتَ على أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عليه .

وقال أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ : سمعتُ عبدَ الرَّهَابِ الْوَرَّاقِيَّ يقولُ : بما بلغنا أن جمعاً
في الجاهلية والإسلام مثله ، حتى بلغنا أن الموضعَ مُسَحٌّ وحُزِرَ على الصَّحِيحِ ، فإذا
هو نحو من ألف ألفٍ ، وحُزِّرنا على القبورِ نحواً من ستين ألف امرأة ، وفتح الناس
أبوابَ المنازل في الشوارع والدروب ، ينادون من أراد الوضوء .

وروى عبدُ اللَّهِ بنُ إِسْحَاقَ الْبَغَوِيُّ : أن بُنَّانَ بنَ أَحْمَدَ الْقَضْبَانِيَّ أخبره أنه حضر
جنازةَ أَحْمَدَ ، فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة باب القطيعة ، وحُزِرَ من
حضرها من الرجال ثمان مائة ألف ، ومن النساء ستين ألف امرأة ، ونظروا فيمن
صلى العصر في مسجد الرصافة ، فكانوا نيفاً وعشرين ألفاً .

وقال موسى بن هرون الخافظ : يقال إن أَحْمَدَ لما مات مُسِيحَتِ الأمانة المبسوطة
التي وقف الناس للصلاة عليها ، فَحُزِرَ مقاديرُ الناس بالمساحة على التندير ستمائة
ألف وأكثر ، سوى ما كان في الأطراف والحوالي والسطوح والمواضع المتفرقة ،
أكثر من ألف ألف .

وقال جعفر بن محمد بن الحسين النيسابوري : حدثني فتح بن الحجاج قال :
سمعت في دار الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر : أن الأمير بمِثْ عشرين رجلاً
فَحَزَرُوا كَمَ صَلَّى على أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ ؟ فَحَزَرُوا ، فبلغوا ألف ألف وثمانين ألفاً ، سوى
من كان في السفن في الماء .

ورواها خُشْنَامُ^(١) بن سعد ، فقال : بلغوا ألف ألف وثلاثمائة ألف .

وقال ابن أبي حاتم : سمعت أبا زُرْعَةَ يقول : بلغني أن التَّوَكُّلَ أمر أن يُسْحَ

(١) في الأصل « خشنام بن سعيد » . وصحناه من طبقات الخنابلة . وفي ابن

الجوزي ٤١٦ « محمد بن خشنام بن سعد » والراجح أنه خطأ .

الموضع الذي وقف عليه الناس ، حيث صَلَّى على أحمد ، فبلغ مقام ألفي ألف وخمس مائة .

وقال البيهقي : بلغني عن البغوي ، أن محمد بن عبد الله بن طاهر أمر أن تُحْزَرَ الخلق الذي في جنازة أحمد ، فانفقوا على سبعمائة ألف .

وقال أبو همام الوليد بن شجاع : حضرت جنازة شريك ، وجنازة أبي بكر بن عياش ، ورأيت حضور الناس ، فما رأيتُ جماعاً قط شبيهة هذا ، يعني في جنازة أحمد .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : حضرت جنازة أبي الفتح القواس مع الدارقطني ، فلما نظر إلى الجمع قال : سمعت أبا سهل بن زياد ، سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل سمعت أبي يقول : قوتوا لأهل البدع : بيننا وبينكم الجنائز^(١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثني أبو بكر محمد بن العباس المكي ، سمعت الوركانبي جار أحمد بن حنبل يقول : يوم مات أحمد بن حنبل وقع المأتم والنوح في أربعة أصناف : المسلمين ، واليهود ، والنصارى ، والمجوس . وأسلم يوم مات عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس .

وفي لفظ عن ابن أبي حاتم : عشرة آلاف .

وهي حكاية منكورة ، لا أعلم رواها أحد إلا هذا الوركانبي ، ولا عنه إلا أحمد بن العباس ، تفرد بها ابن أبي حاتم .

(١) قال الحافظ ابن كثير في التاريخ ١٠ : ٣٤٢ : « وقد صدق الله قول أحمد في هذا ، فإنه كان إمام السنة في زمانه ، وعيون مخالفيه أحمد بن أبي دؤاد ، وهو قاضي قضاة الدنيا ، لم يحتفل أحد بموته ، ولم يلتفت إليه ، ولما مات ما شيعه إلا قليل من أعوان السلطان ، وكذلك الحرث بن أسد المحاسبي ، مع زهده وورعه وتقيره ومحاسبته نفسه في خطراته وحركاته ، لم يصل عليه إلا ثلاثة أو أربعة من الناس ، وكذلك بشر بن غياث الربيعي ، لم يصل عليه إلا طائفة يسيرة جداً ، ففقه الأمر من قبل ومن بعد » .

والعقل يحيل أن يقع مثل هذا الحادث في بغداد ، ولا ينقله جماعة تنسقد همهم
ودواعيهم على نقل ما هو دون ذلك بكثير .

وكيف يقع مثل هذا الأمر الكبير ولا يذكره المروزي ، ولا صالح بن أحمد ،
ولا عبد الله بن أحمد ، ولا حنبل ، الذين حكوا من أخبار أبي عبد الله جزئيات
كثيرة لا حاجة إلى ذكرها ، فوالله لو أسلم يوم موته عشرة أنفس لكان عظيمًا ،
ولكان ينبغي أن يرويه نحو من عشرة أنفس .

وقد تركتُ كثيراً من الحكايات : إما لضعفها ، وإما لعدم الحاجة إليها ،
وإما لطولها .

ثم انكشف لي كذب الحكاية بأن أبا زرعة قال : كان الوركاني ، يني
محمد بن جعفر ، جاراَ أحمد بن حنبل ، وكان يرضاه ، وقال ابن سعد وعبد الله
بن أحمد وموسى بن هرون : مات الوركاني في رمضان سنة ثمان وعشرين
ومائتين^(١) . فظهر لك بهذا أنه مات قبل أحمد بدهر ! فكيف يحكي يوم جنازة
أحمد رحمه الله ؟

قال صالح بن أحمد : جاء كتاب المتوكل بعد أيام من موت أبي إلى ابن طاهر
يأمره بتعزيزتنا ، ويأمر بحمل الكتب ، فحلتها ، وقلتُ : إنها لنا سماع ، فتكونُ في
أيدينا وتنسخ عندنا ، فقال : أقول لأُمير المؤمنين ، فلم نزل ندافع الأمير ، ولم
تخرج عن أيدينا ، والحمد لله .

وقد جمع مناقب أبي عبد الله غير واحد ، منهم أبو بكر البيهقي في مجلد ، ومنهم
أبو إسماعيل الأنصاري في مجلدين ، ومنهم أبو الفرج بن الجوزي في مجلد . والله تعالى
يرضى عنه ويرحمه .

(١) وكذلك أرخ وفاته الخطيب في تاريخ بغداد (٢: ١١٦ - ١١٨) والسمعاني
في الأنساب (ورقة ٥١٨ ب) .

مصادر آخر لترجمة الإمام أحمد

من الكتب المطبوعة

- التاريخ الكبير للبخاري ج ١ قسم ٢ ص ٦
- التاريخ الصغير للبخاري ص ٢٤٤
- الفهرست لابن النديم ٣٢٠
- حلية الأولياء لأبي نعيم ٩ : ١٦١ - ٢٣٣
- تاريخ بغداد للخطيب ٤ : ٤١٢ - ٤٢٣*
- مختصر طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٣ - ١١
- مختصر تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٨ - ٤٨
- مناقب أحمد لابن الجوزي ، مجلد خاص في ٥٤٤ صفحة
- صفة الصفوة لابن الجوزي ٢ : ١٩٠ - ٢٠٢
- تاريخ ابن الأثير ٧ : ٢٨
- وفيات الأعيان لابن خلكان ١ : ٢٠ - ٢١
- تذكرة الحفاظ للذهبي ٢ : ١٧ - ١٨
- طبقات الشافعية لابن السبكي ١ : ١٩٩ - ٢٢١
- تاريخ الحفاظ ابن كثير ١٠ : ٣٢٥ - ٣٤٣
- طرح الشريب للعراقي ١ : ٣١ - ٣٢
- تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ١ : ٧٢ - ٧٦
- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٢ : ٣٠٤ - ٣٠٦
- مفتاح السعادة لطاشكيري زادة ٢ : ٣٩ - ٤٨**
- شذرات الذهب لابن العماد ٢ : ٩٦ - ٩٨

* ذكر الخطيب أنه أفرد مناقب الإمام في كتاب خاص .

** كلامه عن الحق فقط .

مصادر ترجمة عبد الله بن أحمد

- تاريخ بغداد للخطيب ٩ : ٣٧٥ — ٣٧٦
 مختصر طبقات الخنابلة لابن أبي يعلى ١٣١ — ١٣٤
 المنتظم لابن الجوزي ٣ : ٣٩ — ٤٠
 تاريخ ابن الأثير ٧ : ١٨٨
 تذكرة الحفاظ لذهبي ٢ : ٢١٢ — ٢١٤
 تاريخ الحفاظ ابن كثير ١١ : ٩٦ — ٩٧
 طرح التثريب للعراقي ١ : ٦٣ — ٦٤
 النجوم الزاهرة ٣ : ١٣١
 شذرات الذهب لابن العماد ٢ : ٢٠٣ — ٢٠٤

مصادر ترجمة القطيعي

- تاريخ بغداد للخطيب ٤ : ٧٣ — ٧٤
 مختصر طبقات الخنابلة لابن أبي يعلى ٢٩٢ — ٢٩٣
 المنتظم لابن الجوزي ٧ : ٩٢ — ٩٣
 ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي ١ : ٤١
 تاريخ الحفاظ ابن كثير ١١ : ٢٩٣
 طرح التثريب للعراقي ١ : ٢٦ — ٢٧
 لسان الميزان للحافظ ابن حجر ١ : ١٤٥ — ١٤٦
 النجوم الزاهرة ٤ : ١٣٢
 شذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٦٥

تاريخ الإسلام

للمحافظ الذهبي

هو من أكبر كتب التاريخ ، وأوثقها وأتقنها ، ألفه رجل حافظ مدقق محقق ثقة . أثبت فيه تراجم أعلام الإسلام من السنة الأولى من الهجرة إلى آخر سنة ٧٠٠ . رتبته على سبعين طبقة ، كل طبقة عشر سنين . يذكر التراجم في كل طبقة على حروف المعجم ، ويسهب فيها إسهاباً محبوباً ، ترى مثاله في ترجمة الإمام أحمد التي تراها . ولا تقتصر تراجمه على صنف معين من الأعلام ، ففيه أولاً سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي تكاد تكون مجلداً وحدها ، ثم الصحابة ، ثم التابعون ، وفيه تراجم المحدثين ، والفقهاء ، والأدباء ، والشعراء ، والمؤرخين ، وغيرهم ، مما لا نستطيع استيعابه في هذه الكلمة .

وهذا الكتاب إذا طبع لا أظنه يخرج في أقل من أربعين مجلداً كباراً ، بل يزيد . ونسخه الكاملة نادرة ، أو هي غير موجودة فيما نعلم . وأكمل نسخة فيما علمت هي نسخة دار الكتب المصرية ، وهي ملفقة من عدة نسخ ، وينقصها بعض الطبقات . وقد كنت تتبعث الموجود منها في دار الكتب المصرية وفي غيرها من دور الكتب ، مستعيناً بفهارس دور الكتب بالإستانة وأوربة ، وبكتاب « بروكلمان » فوجدت أن من المستطاع جمع الكتاب كله إلا قليلاً ، وأن هذا القليل من أواسطه ، فقد نجد من مقتني الكتب في العالم الإسلامي وغيره من يرشد إلى ما نقص منه ، إذا ما شرع في نشره .

وقد ذُيِّلَ عليه العلامة ابن قاضي شعبة المتوفى سنة ٨٥١ ، فأبتدأ من حيث انتهى الحافظ الذهبي ، ووجد من هذا الذيل مجلدان بالمكتبة الأهلية بباريس ، وصل فيهما إلى الكلام على أثناء سنة ٨٠٦ ، وهما مصوران بدار الكتب المصرية ، وفي الجزء الأول نقص بسير .

فهذه ثمانون طبعة من طبقات أعلام الإسلام ، وهي الطبقات التي كان فيها مجد الإسلام وعزه ، وفيها أئمة وعظماءه .

وأما الحافظ الذهبي فإنه غني عن التعريف ، واسمه « شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد عثمان بن قايماز ، التركاني القارقي الأصل ، المعروف بالذهبي » . ولد بدمشق سنة ٦٧٣ . قال تلميذه الحافظ الشريف أبو المحاسن محمد بن علي الحسيني في « ذيل طبقات الحفاظ » ص ٣٥ — ٣٦ : « ومصنفاته ومختصراته وتخريجاته تقارب المئة ، وقد سار بجملة منها الركبان في أقطار البلدان ، وكان أحد الأذكياء المعدودين ، والحفاظ البرزين » . ومات الذهبي بدمشق ليلة الإثنين ٣ ذي القعدة سنة ٧٤٨ رحمه الله تعالى .



والجزء من « تاريخ الإسلام » الذي نقلت منه هذه الترجمة ، ترجمة الإمام أحمد ، جزء قديم ، فيه الطبقة الخامسة والعشرون ، أي تراجم الذين توفوا من سنة ٢٤١ إلى سنة ٢٥٠ ، وعدد أوراقه ١٠٥ ورفات ، أي ٢١٠ صفحات ، وأسطر الصفحة ٢٣ سطراً ، عرض السطر نحو ١٢,٥ سنتي . وترجمة الإمام فيه في ٤٩,٥ صفحة .

وليس فيه تاريخ كتابته ، والظاهر الراجح من النظرة الأولى أنه من خطوط القرن الثامن . وهو جيد الضبط والتصحيح ، واضح القراءة ، يدل على أن كاتبه ناسخ متقن ، وعالم متمكن ، نقله من خط المؤلف ، ونص ما كتب في آخره :

« آخر الطبقة الخامسة والعشرين من تاريخ الإسلام ». وعلقه من خط مؤلفه الحافظ شمس الدين بن الذهبي رحمه الله ، فقيرُ رحمة الله تعالى محمد بن إبراهيم بن محمد البسلي عفي الله عنه ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكلة « البسلي » أثبت هكذا دون إجماع ، وأجمعه واضع فهرس دار الكتب المصرية (ج ٥ ص ٧١ طبعة سنة ١٣٤٨) دون تثبت ، هكذا « البسلي » !

فذهبت أبحث لأثبت ، فوجدت في الضوء اللامع ترجمتين لرجلين : أحدهما « محمد بن إبراهيم بن علي بن محمد النشيلي نزيل مكة » ذكر أنه ولد سنة ٨٣٥ ببلدة « نشيل » من الغربية ، ولم يذكر تاريخ وفاته (ج ٦ ص ٢٧١ - ٢٧٢) . والآخر « محمد بن إبراهيم المقدسي الحنبلي ويعرف بالسيلي ، بكسر المهملة ثم تحتانية بعدها لام » وذكر أنه كان « خازن كتب الضيائية » وأنه مات قريب سنة ٨٦٠ (ج ٦ ص ٢٨٣) فظننت أنه أحدهما على تردد .

ثم وجدت اليقين ، وجدت في الضوء اللامع أيضاً (٦ : ٢٧٧ - ٢٧٩) ترجمة « محمد بن إبراهيم بن محمد ، الدمشقي الأصل الشاعر الشهير الطاهري ، ويعرف بالبدر البشتكي » وأنه ولد بجوار جامع بشتك « الناصري » ، ونشأ بفخاقاء « بشتك » ، وكان أحد صوفيتها ، فمرف بالنسبة إليها ، وذكر أنه كان ذا جلادة على النسخ مع الإتيان والسرعة الزائدة ، بحيث كان ينسخ في اليوم خمس كراريس فأكثر ، وأنه كتب بخطه من المطولات والمختصرات لنفسه ولغيره ما لا يدخل تحت الحصر كثرة ، « خصوصاً النهر لأبي حيان ، وإعراب السمين ، والسكرماني ، وتاريخ الإسلام للذهبي » إلى آخره ، فأيقنت أنه هو ، بعد النص على أنه كان ينسخ تاريخ الإسلام .

ومن العجب حقاً أنه كان ينسخ في اليوم « خمس كراريس فأكثر » ، ومن المعروف أن الكراس عشرون صفحة ، أي أنه ينسخ في اليوم أكثر من مائة صفحة .
وها أنت ذا تري أن ترجمة الإمام التي بين يديك كانت في نسخته في ٤١٥ صفحة ، أي أنه ينسخ في اليوم الواحد أكثر من مثليها ، مع الإتقان والضبط والدقة ، ووضع علامات حمر في أوائل الكلام ، فهذا عجب !

والبيشكبي هذا ولد في أحد الربيعين من سنة ٧٤٨ ، أي في السنة التي مات فيها الحافظ الذهبي ، وتوفي يوم الإثنين ٢٣ جمادى الأولى سنة ٨٣٠ . وله ترجمة أخرى مختصرة في شذرات الذهب ٧ : ١٩٥ . رحمه الله تعالى وإيانا ، وعفا عنا وعنّه .

أصح الأسانيد

لأئمة الحديث وحفاظه كلمات في أصح الأسانيد ، فالإمام أحمد وإسحق بن راهويه — مثلاً — يذهبان إلى أن أصح الأسانيد باطلاق : الزهري عن سالم عن أبيه . والبخاري يذهب إلى أن أصحها باطلاق : مالك عن نافع عن ابن عمر ، وهي الترجمة التي اشتهرت عند المحدثين بأنها « سلسلة الذهب » .

قال النووي في التقريب مع شرح السيوطي في التدريب (ص ١٩) : « والختار أنه لا يجزم في إسناد أنه أصح الأسانيد مطلقاً . لأن تفاوت مراتب الصحة مرتب على تمكن الإسناد من شروط الصحة ، ويعز وجود أعلى درجات القبول في كل واحد واحد من رجال الإسناد الكائنين في ترجمة واحدة . ولهذا اضطرب من خاض في ذلك ، إذ لم يكن عندهم استقرار تام ، وإنما رجح كل منهم بحسب ما قوي عنده ، خصوصاً إسناد بلده ، لكثرة اعتنائه به » .

فانتهى تحقيقهم إلى أنه ينبغي تقييد هذا الوصف بالبلد أو الصحابي . ونصوا على أسانيد كثيرة ، بعضهم أطلق ، وبعضهم قيد .

قال الحاكم أبو عبد الله في كتاب (معرفة علوم الحديث) :

« وقد اختلف أئمة الحديث في أصح الأسانيد :

فحدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب قال : حدثنا محمد بن سليمان قال : سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول : أصح الأسانيد كلها : مالك عن نافع عن ابن عمر ، وأصح أسانيد أبي هريرة : أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة .

وسمعت أبا بكر بن أبي دارم الحافظ بالسكوفة يحكي عن بعض شيوخه عن أبي

بكر بن أبي شبة قال : أصح الأسانيد كلها : الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي .
وأخبرني خلف بن محمد البخاري حدثنا محمد بن حريث البخاري قال :
سمعت عمرو بن علي يقول : أصح الأسانيد : محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي .
أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بطة الأصبهاني عن بعض شيوخه قال : سمعت
سليمان بن داود يقول : أصح الأسانيد كلها : يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة ،
وسمعت أبا الوليد الفقيه غير مرة يقول : سمعت محمد بن سليمان الميداني يقول :
سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول : أصح الأسانيد كلها : الزهري عن سالم عن أبيه .
حدثني الحسين بن علي الصيرفي قال : حدثني محمد بن حماد الدورري بحلب
قال : أخبرني أحمد بن القاسم بن نصر بن دوست قال : حدثنا حجاج بن الشاعر قال :
اجتمع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني في جماعة معهم ، اجتمعوا
فذكروا أجود الأسانيد الجياد ، فقال رجل منهم : أجود الأسانيد : شعبة عن قتادة
عن سعيد بن السبب عن عامر أخي أم سلمة عن أم سلمة . وقال علي بن المديني :
أجود الأسانيد : ابن عون عن محمد عن عبيدة عن علي . وقال أبو عبد الله أحمد
بن حنبل : أجود الأسانيد : الزهري عن سالم عن أبيه ، وقال يحيى : الأعشى عن
إبراهيم عن علقمة عن عبد الله . فقال له إنسان : الأعشى مثل الزهري ؟ فقال :
برئت من الأعشى أن يكون مثل الزهري ، الزهري يرى العرض والإجازة ، وكان
يسمل ابني أمية ، وذكر الأعشى فدهسه ، فقال : فقير صبور بجانب السلطان ،
وذكر علمه بالقرآن وورعه .

قال الحاكم : فأقول وبالله التوفيق : إن هؤلاء الأئمة الحفاظ قد ذكر كل ما أدى
إليه اجتهاده في أصح الأسانيد ، ولكل صحابي رواية من التابعين ، ولهم أتباع ، وأكثرهم
ثقات ، فلا يمكن أن يقطع الحكم في أصح الأسانيد لصحابي واحد . فنقول وبالله التوفيق :
إن أصح أسانيد أهل البيت : جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي ، إذا
كان الراوي عن جعفر ثقة .

وأصح أسانيد الصديق : إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر .

وأصح أسانيد عمر : الزهري عن سالم عن أبيه عن جده .

وأصح أسانيد المكثرين من الصحابة ، لأبي هريرة الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ، ولعبد الله بن عمر : مالك عن نافع عن ابن عمر ، وعائشة : عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة .

سمعت أبا بكر أحمد بن سلمان الفقيه يقول : سمعت جعفر بن أبي عثمان الطيالسي يقول : سمعت يحيى بن معين يقول : عبيد الله بن عمر عن القاسم عن عائشة : ترجمة مشبكة بالذهب .

ومن أصح الأسانيد أيضاً : محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب بن زهرة القرشي عن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي عن عائشة .

وأصح أسانيد عبد الله بن مسعود : سفيان بن سعيد التوري عن منصور بن العتير عن إبراهيم بن يزيد النخعي عن حلقمة بن قيس النخعي عن عبد الله بن مسعود .

وأصح أسانيد أنس : مالك بن أنس عن الزهري عن أنس .

وأصح أسانيد السكينة : سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر .

وأصح أسانيد اليمانيين : معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة .

سمعت أبا أحمد الخفاف يقول : سمعت أبا حامد الشَّرقِي يقول : سألت محمد بن يحيى فقلت : أيُّ الإسنادين أصح : محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، أو معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة ؟ فقال : إسناد محمد بن عمرو أشهر ، وإسناد معمر أمتن .

قال الحاكم : قلت لأبي أحمد الحافظ : محمد بن يحيى إمام غير مدافع إمامته ،
ولسكني أقول : معمر بن راشد أثبت من محمد بن عمرو ، وأبو سلمة أجل وأشرف
وأثبت من همام بن منه . فأعجبه هذا القول وقال فيه ما قال .

قلنا : وأثبت إسناد المصريين : الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب
عن أبي الخير عن عقبة بن عامر الجهني .

وأثبت إسناد الشاميين : عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي عن حسان بن عطية
عن الصحابة .

وأثبت أسانيد الخراسانيين : الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن
أبيه . ولعل قائلًا يقول : إن هذا الإسناد لم يُخرج منه في الصحيحين إلا حديثان ؟
فيقال له : [ما] وجدنا للخراسانيين أصح من هذا الإسناد . فكلهم ثقات
وخراسانيون ، وبريدة بن حصيب مدفون بمرو .

انتهى كلام أبي عبد الله الحاكم في كتاب (معرفة علوم الحديث)
ص ٥٣ - ٥٦ وهو أقدم نص بين يدي في كتب أئمة الحديث وحفظه ، فلذلك
أثبتته بحروفه .

ثم جاء الحافظ أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى
سنة ٨٠٦ فجمع أحاديث الأحكام المروية بأصح الأسانيد في ستة عشر ترجمة ،
واقصر في إخراجها من الموطأ ومسند الإمام أحمد ، واختصر أسانيدها ، تقريباً لابنه
أبي زرعة ، وتيسيراً عليه لحفظها ، وسمى هذا الكتاب (ترتيب الأسانيد
وترتيب المسانيد) .

قال في مقدمته : « ولما رأيت صعوبة حفظ الأسانيد في هذه الأعصار لطولها ،
وكان قصر أسانيد المتقدمين وسيلة لتسهيلها ، رأيت أن أجمع أحاديث عديدة في
تراجم محصورة ، وتكون تلك التراجم فيما عُدَّ من أصح الأسانيد المذكورة ،
إما مطلقاً على قول من عه ، أو مقيداً بصحابي تلك الترجمة »

ثم قال : « فما كان فيه من حديث نافع عن ابن عمر ، ومن حديث الأعرج عن أبي هريرة ، ومن حديث أنس ، ومن حديث عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة — :

فأخبرني به محمد بن أبي القاسم بن إسماعيل الفارقي ومحمد بن محمد بن محمد القلانسي بقراءتي عليهما ، قالا : أخبرنا يوسف بن يعقوب الشهدي وسيدة بنت موسى المارانية ، قال يوسف أخبرنا الحسن بن محمد البكري ، قال : أخبرنا المؤيد بن محمد الطوبسي (ح) وقالت سيدة : أنبأنا المؤيد ، قال : أخبرنا هبة الله بن سهل ، قال : أخبرنا سعيد بن محمد ، قال : أخبرنا زاهر بن أحمد قال : أخبرنا إبراهيم بن عبد الصمد قال : حدثنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر قال : حدثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر .

ومالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة .

ومالك عن الزهري عن أنس .

ومالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة .

وما كان من غير هذه التراجم الأربعة فأخبرني به محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الخباز بقراءتي عليه بدمشق في الرحلة الأولى ، قال : أخبرنا للسلم بن مكي ، قال : أخبرنا حنبل بن عبد الله قال : أخبرنا هبة الله بن محمد الشيباني قال : أخبرنا الحسن بن علي التميمي قال : أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي قال : حدثنا عبد الله بن أحمد قال : حدثني أبي أحمد بن محمد بن حنبل .

فما كان من حديث عمر بن الخطاب فقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال : حدثنا معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه عن عمر .

وما كان من حديث سالم عن أبيه فقال أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه .

وما كان من حديث علي بن أبي طالب فقال أحمد : حدثنا يزيد هو ابن هرون قال : أخبرنا هشام عن محمد عن عبيدة عن علي .

وما كان من حديث عبد الله بن مسعود فقال أحمد : حدثنا أبو معاوية قال : حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله .

وما كان من حديث هام عن أبي هريرة فقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال : حدثنا مسر عن هام عن أبي هريرة .

وما كان من حديث سعيد عن أبي هريرة فقال أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة .

وما كان من حديث أبي سلمة وحده عن أبي هريرة فقال أحمد : حدثنا حسن بن موسى قال : حدثنا شيبان بن عبد الرحمن قال : حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة .

وما كان من حديث جابر فقال أحمد : حدثنا سفيان عن عمرو عن جابر . وما كان من حديث بُريدة فقال أحمد : حدثنا زيد بن الحُبَاب قال : حدثني حسين بن واقد عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه .

وما كان من حديث عُقبة بن عامر فقال أحمد : حدثنا حجاج بن محمد قال : حدثنا ليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر .

وما كان من حديث عروة عن عائشة فقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة .

وما كان من حديث عُبَيْد الله عن القاسم عن عائشة فقال أحمد : حدثنا يحيى هو ابن سعيد عن عُبَيْد الله قال : سمعت القاسم يحدث عن عائشة .

انتهى ما قاله الحافظ العراقي في أول التقرير . وقد شرحه هو وابنه أبو زرعة ، في شرح نفيس حافل ، اسمه (طرح الثريب) . وقد طبع الكتابان في مصر .

وقال السيوطي في تدريب الراوي ٣٢-٣٣ : « جمع الحافظ أبو الفضل العراقي الأحاديث التي وقعت في المسند لأبي جند والموطأ ، بالتراجم الخمسة التي حكاها المصنف

وهي المطلقة ، وبالتراجم التي جكاها الحاكم ، وهي المقيدة ، ورتبها على أبواب الفقه ، وسماها تقريب الأسانيد . قال شيخ الإسلام — يعني الحافظ ابن حجر المسقلائي تلميذ الحافظ العراقي — : وقد أدخل كثيراً من الأبواب لكونه لم يجد فيها بتلك الشرطية ، وفاته أيضاً جملة من الأحاديث على شرطه ، لكونه تقيد بالكتابين ، للغرض الذي أراده ، من كون الأحاديث المذكورة نصير متصلة الأسانيد مع الاختصار البالغ . قال : ولو قدر أن يتفرغ عارف لجمع الأحاديث الواردة بجميع التراجم المذكورة ، من غير تقيد بكتاب ، ويضم إليها التراجم المزیدة عليه ، لجاء كتاباً حافلاً حاوياً لأصح الحديث .

وقد تنبعت بأقصى وسمي ما قال علماء هذا الشأن وحملته المدول في أصح الأسانيد ، إذ أن حكمهم أو حكم أحدهم في ترجمة من التراجم أنها أصح إسناد ، أو من أصح الأسانيد ، شهادة لها من عدل ثقة بأنها في الدرجة العليا من الصحة وإن تفاوتت درجاتها . وزدت عليها بعض التراجم : إما تفصيلاً لجمل ، كما في أصح الأسانيد عن عمر : فإن أصح الأسانيد عن ابنه عبد الله تدخل في أصح الأسانيد عنه ، إذا روى عنه ابنه عبد الله بن عمر . وكما في بعض الأسانيد التي يرويها مالك عن الزهري ، فإن زدت عليها رواية سفيان بن عيينة ورواية معمر عن الزهري ، فإنهما ليسا بأقل من مالك في الضبط والإتقان عن الزهري ، ورتبت هذه التراجم على أسماء الصحابة على حروف المعجم .

ومن شاء زيادة توثق وثبت ، وزيادة توسع وتفصيل ، فليرجع إلى المصادر الآتية :

معرفة علوم الحديث للحاكم أبي عبد الله ٥٣ — ٥٦

السكافية في علم الرواية للخطيب البغدادي ٣٩٧ — ٣٩٩

علوم الحديث لابن الصلاح بشرح الحافظ العراقي ١٠ — ١١

— شرح العراقي على ألفيته في مصطلح الحديث ١ : ١٦ — ٣٨ —

شرح السخاوي على ألفية العراقي ٨ — ١٠

تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ١٩ — ٢٤

توجيه النظر إلى أصول الأثر لشيخنا الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله

٢١٤ — ٢١٥

شرحنا على ألفية السيوطي في مصطلح الحديث ٤ — ٩

شرحنا على اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير ٧ — ١١

وها هي ذي التراجم التي جمعناها ، وسفرقها أيضاً في مواضعها عند البدء

في مسند كل صحابي ممن ذكر فيها ، إن شاء الله :

- ١ أنس بن مالك : مالك عن الزهري عن أنس
- ٢ سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس
- ٣ معمر عن الزهري عن أنس
- ٤ حماد بن زيد عن ثابت عن أنس
- ٥ حماد بن سلمة » » » »
- ٦ شعبة عن قتادة عن أنس
- ٧ هشام الدستوائي عن قتادة عن أنس
- ٨ بريدة : الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه
- ٩ أبو بكر الصديق : إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم
عن أبي بكر
- ١٠ جابر بن عبد الله : سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر
- ١١ أبو ذر الغفاري : سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن
أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر
- ١٢ سعد بن أبي وقاص : علي بن الحسين بن علي عن سعيد بن المسيب
عن سعد بن أبي وقاص
- ١٣ أم سلمة أم المؤمنين : شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عامر
أخي أم سلمة عن أم سلمة
- ١٤ عائشة أم المؤمنين : هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة
- ١٥ أفنح بن حميد عن القاسم عن عائشة
- ١٦ سفيان الثوري عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة
- ١٧ مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه
عن عائشة

- ١٨ يحيى بن سعيد عن عبيد الله بن عمر بن حفص
عن القاسم بن محمد عن عائشة
- ١٩ مالك عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة
- ٢٠ سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة بن
الزبير عن عائشة
- ٢١ معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة
- ٢٢ عبد الله بن عباس : مالك عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله
بن عتبة عن ابن عباس
- ٢٣ سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله بن
عبد الله بن عتبة عن ابن عباس
- ٢٤ معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن
عتبة عن ابن عباس
- ٢٥ عبد الله بن عمر : مالك عن نافع عن ابن عمر
- ٢٦ مالك عن الزهري عن سالم عن أبيه
- ٢٧ سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه
- ٢٨ معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه
- ٢٩ حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر
- ٣٠ يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله بن عمر عن
نافع عن ابن عمر
- ٣١ عبد الله بن عمرو بن العاصي : عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده
- ٣٢ عبد الله بن مسعود : الأعمش عن إبراهيم بن يزيد عن علقمة بن
قيس عن ابن مسعود

- ٣٣ سفيان الثوري عن منصور بن العشر عن
إبراهيم بن يزيد عن علقمة عن ابن مسعود
- ٣٤ عقبة بن عامر : الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن
أبي الخير عن عقبة بن عامر
- ٣٥ علي بن أبي طالب : أيوب السخثياني عن محمد بن سيرين عن عبيدة
عن علي
- ٣٦ عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن عبيدة
عن علي
- ٣٧ هشام الدستوائي عن محمد بن سيرين عن
عبيدة عن علي
- ٣٨ مالك عن الزهري عن علي بن الحسين عن
أبيه عن علي
- ٣٩ سفيان بن عيينة عن الزهري عن علي بن الحسين
عن أبيه عن علي
- ٤٠ معمر عن الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه
عن علي
- ٤١ جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عن جده
عن علي
- ٤٢ الأخرج عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي
- ٤٣ يحيى القطان عن سفيان الثوري عن سليمان الأعمش
عن إبراهيم التيمي عن الحرث بن سويد عن علي
- ٤٤ عمر بن الخطاب : مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر
- ٤٥ مالك عن الزهري عن السائب بن يزيد عن عمر

- ٤٦ سفيان بن عيينة عن الزهري عن السائب بن
يزيد عن عمر
- ٤٧ معمر عن الزهري عن السائب بن يزيد عن عمر
مالك عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله
- ٤٨ بن عتبة عن ابن عباس عن عمر
- ٤٩ سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله بن
عبد الله بن عتبة عن ابن عباس عن عمر
- ٥٠ معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن
عتبة عن ابن عباس عن عمر
- ٥١ مالك عن الزهري عن سالم عن أبيه عن جده
- ٥٢ سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه
عن جده
- ٥٣ معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه عن جده
- ٥٤ حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر
عن عمر
- ٥٥ يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله بن عمر عن
نافع عن ابن عمر عن عمر
- ٥٦ أبو موسى الأشعري : شعبة عن عمرو بن مرة عن أبيه عن أبي موسى
الأشعري
- ٥٧ أبو هريرة : يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة
مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن
- ٥٨ أبي هريرة

سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب
عن أبي هريرة ٥٩

معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن
أبي هريرة ٦٠

مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ٦١

إسماعيل بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين
عن أبي هريرة ٦٢

إسماعيل بن أبي حكيم عن عبيدة بن سفيان
المصري عن أبي هريرة ٦٣

مسمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة ٦٤

شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن
شيوخه من الصحابة } ٦٥

الأوزاعي عن حسان بن عطية عن شيوخه
من الصحابة } ٦٦

ترجمتان عامتان :

المحتوى

الكتاب الأول

٣ خصائص المسند . للحافظ أبى موسى المدينى

الكتاب الثانى

المصعد الأحمد فى نتم مسند الإمام أحمد

١٢ للحافظ شمس الدين بن الجزرى

١٤ فضل كتاب « المسند — للإمام أحمد »

١٦ عدد أحاديثه

١٧ عدد بعض المسانيد فيه

١٨ شيوخ عبد الله الذين روى عنهم فى مسند أبيه

١٨ شرط الإمام أحمد فى مسنده

١٩ فضل جامع المسند « الإمام أحمد »

٢٤ رجال المسند

٢٦ ترجمة « القطيعى راوى المسند » وبقية الرواة عنه

٤٠ كلمة ابن الجوزى ، بشأن المسند

الكتاب الثالث

..... ترجمة الإمام أحمد بن حنبل

٤٢ من كتاب تاريخ الإسلام للحافظ الذهبى

٤٢ اسمه ونسبه وشيوخه

٤٦ فصل : فى إقباله على العلم واشتغاله وحفظه

٥٧ فصل : فى آدابه

٥٩ فصل : فى قوله فى أصول الدين

٦٧	فصل : من سيرته
٨٦	فصل : في زوجاته وأولاده
٧٣	ذكر المحنة
٨٩	فصل : في محنته من الوائت
٩١	فصل : في حال أبي عبد الله أيام المتوكل
١٠٨	ذكر مرضه رحمه الله
١١٦	مصادر أخرى لترجمة الإمام أحمد من الكتب المطبوعة
١١٧	مصادر ترجمة عبد الله بن أحمد
١١٧	مصادر ترجمة القطيعي
١١٨	تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي
١٢٢	أصح الأسانيد
١٢٢	التراجم